مجموعة رسائل

فاطمة صلاح الدين الخلف

العابثُ في مخيلتي

(جبراني)

فضاءات
للنشر والتوزيع

العابثُ في مخيلتي

(جبراني)

رقم الإيداع لدى
دائرة المكتبة الوطنية
2016/3 /975

818.9
الخلف، فاطمة صلاح الدين
العابث في مخيلتي- جبراني – فاطمة صبلاح الدين الخلف – عمان: دار فضاءات، 2016
الواصفات: /الأدب العربي//العصر الحديث/

* أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية.
* يتحمل المؤلف المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو اي جهة حكومية أخرى.

ISBN: 978-9957-30-845-2

فضاءات
للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى: 2016

جميع الحقوق محفوظة بموجب اتفاق

العابث في مخيلتي- جبراني –فاطمة صبلاح الدين الخلف –سوريا
دار فضاءات للنشر والتوزيع – المركز الرئيسي
عمان - شارع الملك حسين- مقابل سينما زهران
تلفاكس: 4650885 (6 - 962+) هاتف جوال: 911431- 777(962+)
ص.ب 20586 عمان 11118 الأردن
E.mail: Dar_fadaat@yahoo.com
Website: http://www.darfadaat.com

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر

تصميم الغلاف: فضاءات للنش والتوزيع
الصف الضوئي والإخراج الداخلي والطباعة: فضاءات للنشر والتوزيع

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لاتعبر بالضرورة عن رأي دار فضاءات للنشر والتوزيع.

فاطمة صلاح الدين الخلف

العابثُ في مخيلتي

(جبراني)

مجموعة رسائل

فضاءات
للنشر والتوزيع

قالت لي:

تكتبين بهِ شعراً وتغزلين من أحاديثهِ رسائل خرافية

يقرأها ويعلم أنهُ هو المقصود ولا يتحرك، فقط يسعد ويتكبر بذلك، فهل تعتقدين فوق كل ذلك سيبقى؟

رددتُ أنا:

ما الضير في أن أحب بصدق، وألا أعامل بالمثل

أن أهب الطرف الآخر كل ما عندي من مشاعر،

حتى لو ذهب هو،

ما السوء في أن أعيش معه في بيتنا الصغير،

أن أغلق أزرار قميصه وأقبل جبينه كل صباح،

أن أحبهُ أكثر وأن أرقص معهُ ذات مساء.

ما الضير أن عشت كل ذلك في مخيلتي.

فيكون ذنبي أني أحببت وكتبت!؟

الإهداء

إلى ماري زيادة. إلى جبران خليل جبران،

إلى كِتاب الشعلة الزرقاء (مصدر الإيحاء)

إلى حواء الوجه المماثل لكلمة الحب.

وإلى مارس تحديداً.!

تذهلني ذاتي حينما أجعل من شخص عادي بطلاً وربما فارس أحلام وربما أكثر، وتذهلني أكثر حينما أجعلهُ سيد قصائدي وأتغزل فيه وكأنه هو من يأتي لي بالوحي، كلهُ بسبب الحب.

يحيط بمهجتي ويرف على نحو سريع، يأبى التزحلق منه أو الرحيل، كأنهُ يخطط للبقاء المديد، أحياناً أظن أنني قد بالغت في حبه، وأحياناً أرى نفسي تنزلق نحوه وتبحث عن مفردات لتكتبه من جديد، ولتخلده بذاكراتي بشكل أكبر.

جبران ذلك الكائن الغريب يشبهُ الأصنام، يبوح بالقليل، معلق على جرف صخرة.. محاط بالحيرة ودائماً أبرر أفعاله القاسية معي بعبارة (ما باليدِ حيلة)، أظن بأنني أجازف بهذا الحب كثيراً، فأجعل الحبيب في مقام عالٍ جداً، أغفر لهُ زلاتِهِ أيّاً كانت وأسرمد كلماته كأنها كتاب مقدس، رغم أن كلمات جبران ضئيلة جداً.

لا أعرف كيف أصفه، ملامحه بسيطة طفولية، كنتُ أراه عبر الصور وكان لكل صورة حكاية، كنتُ أستشعر من نظراته للكاميرا، فمنها كنتُ أرى نظرة الحب التي أحلم بها وكأنني كنتُ الكاميرا حينها، ومنها كنت أرى الحزن بعينه، وكأنه مرغم على أن يقف أمام الكاميرا، لا يشبه أحداً مع

أني أراه في كل الوجوه، متوسط القامة، يحب المحافظة على وزنه بشكل مثالي ويحب الخس كثيراً فهو أساس رشاقته على حد تعبيره، عيناه ملونتان بلون السماء في الصباح، وتضيئان كنجمتين في المساء، ذو وجه بشوش، وابتسامة ساحرة، أتوه في ماهيته، وتدهشني ابتسامته فله ألف لغز وألف حكاية.

***

أحببتك كما لم يحب أحد، وكنتُ دائماً جاهزة للموتِ في سبيلك، وأجاهد في ترقيع كفني الذي أضعهُ تحت وسادتي، لترقيع آلامي منك، ربما ليس منك بل من قدرنا المكتوب، فكان هو الضحية الذي يحتملني حين غضبي منك، فما أن أوجعتني، سارعت إليه لأمزقه ومن ثم تأتيني منك كلمة واحدة تجعلني أعيد ترقيع ذلك الكفن، وكأن مشاعري هباء منثور وتستطيع أنت بكلماتك متى أردت أن تمحيها وبسهولة، فلم يكن حبك أكثر عبثية من أن تأخذ مشاعري على محمل الجد. فكان كفني ملجئي الوحيد لمواساتي بذلك الحب. كفن يواسيني؟؟؟، نعم حينما لا يكون لدي خيار آخر، حينما تكون حياتي معلقة بك، حينما أكون غبية عندما أقول إمّا أنت أو الموت، فكان الكفن السبيل الدائم للهروب منك.

يقولون لا تتأملي من رماد أن يصبح ناراً مرةً أخرى، وأيضاً كيف لجثة شبعت من الموت أن تعيش مرةً أخرى، لكن قلمي كان يزرع بها الحياة ويعيد ترميمها حتى تعود أنت كما كنت سابقاً، فأنا أرفضُ إطفاء حرائق قلبي، كي يتسنى لك أن تجد الأمل في كل مكان وحتى لو كان معدوماً،

حتى يعرف هذا الكون كم أحببتك، وأن الحب هو الذي سينتصر في النهاية، رغم أن قدري معه لم يكنْ ليكون لي حينها سوى شاهدة قبر من رخام محفور عليها اسمي بقلم حبر أسود طغى عليه الزمان.

كغريب كنت تعاملني مرةً، لتفجع روحي بقسوتك تلك، رغم أنك كنت عذاباً ورغم نزعتك للرحيل، ومعرفتي بنهاية هذا العشق، إلا أنني بقيتُ على عهدي واحتفظتُ بحبك وما زلتُ للآن أحبك.

في مارس قلت لي أحبك، كيف يتسنى لي أن أنسى هذا الشهر أن لا أقدسه وأخلده أن لا أجعله عيد ميلادي، أن لا أختصر به السنة كلها وأجعلها في هذا الشهر وأن أحتفلَ بكل أيامه وأرقصَ على أثرِ كلمة واحدة.

ذلك الشهر الرائع المليء بالمتاعب العاطفية، شهر الاغتيال والموت، أو لربما الحياة ما بعد الموت، ذات مرة ظننتُ أنني ملكت الحياة بكلمتك تلك، لم أدرك حقاً أن لتلك الكلمة عواقب تشبهُ نكسة حزيران أو ربما آزمة سوريا الآن.

لربما الحرب، كانت سبب الفراق الأول قبل ظروفك تلك، كانت صور الحرب تشبه قلبي، لطالما كنتُ حلب كلها،

بشوارعها وحارتها العتيقة، بمنازلها المهدمة وحتى بمأساتها، أشبهُ حلب، تلك المدينة الذي دمرها أهلها دون شعورهم بالذنب، الذين سرقوا منها ضحكتها باسم الحب، هكذا أنا مثلُ حلب..

***

ذات يوم أحسستُ أنني أشبهُ سيدة في الأربعين، تجالس همومها، بقربها قطتها وفنجان قهوة يواسي وحدتها، تلك المشاعر لا تأتي لي عن عبث أو لأنك كنت توحي لي دائماً أن لا لقاء بيننا وأن الفراق حتماً سيكون من نصيبنا ومرات عدة ترسل لي أغنية، تعطيني كلماته عمري العشرينِ وتارةً تعيدني طفلة، لا يخفف ذلك من ذنبك، لكن يسعدني كونك ترسل تلك الكلمات لأجلي أنا وحدي.

كانت أغنية حبيبتي من تكون بصوت نوال الزغبي فطوري اليومي، أتشرب تلك الكلمات وأشعر بها حرفاً حرفاً..

الرفاق حائرون، يفكرون

يتساءلون في جنون..

حبيبتي أنا

من تكون!!

من تكون.. حبيبتي..

حبيبتي أنا

***

لا تخافي وأهدئي يا صغيرتي

لا تبالي

أنني، يا حبيبتي

أخفي هواكِ عن العيون فكيف مني يعرفون؟

حبيبتي أنا.. من تكون حبيبتي..

ما كان يدهشني هو تشربي لعاداتك، كاستبدال طقوسي الصباحية فبدل أن أسمع فيروز أصبحتُ أسمع صباح فخري، وأكثر من تناول المقالي فأصبحت وجبتي في كل غداء، كأن أتناول الخس باستمرار، وأن أستبدل فنجان القهوة الذي هو جزء من أسباب إبداعي في الكتابة بكوب شاي كما تحب أنت، كأن أجلس وحيدة في غرفتي، أخاف أن يتحدث معي أحد فيشغلني عن التفكير بك ولو لبضع دقائق، أحبُ حبي لك كثيراً، وتتساءل أمي ماذا جرى لي وفتح شهيتي على تلك الأشياء.

ثمة عشاق مختلفون، ثمة حب مختلف، منهم من يحظى بالقرب والحنان ومنهم الفقير الذي لا يعرف أيّاً من ذاك الكلام.

لطالما عشقتُ عبد الحليم حافظ وأم كلثوم وشادي جميل وصباح فخري ولطفي بوشناق المقدس لديك، لطالما عشقتُ كل أنواع الأغاني التي كنت تحبها، مع أنني كنتُ لا أطيق ذلك النوع من الأغاني، لم أكن أعرفها حتى، حتى طقوسي تبدلت، ونظرتي للحياة تغيرت، أصبحتُ أؤمن بعدة أشياء لم أكن أتوقع أن أمارسها حتى، الحب

يغيرنا كثيراً، يجعلنا نكبر حقاً، أو ربما يعيدنا أطفالاً من جديد، يمنحنا الحياة بصورة مختلفة، الحب كما وصفه كامل الشناوي: "الحب جحيم يُطاق.. والحياة بدون حب نعيم لا يُطاق".

وكما قالت سيمون دي بوفوار:

"الحب تجربة حيّة لا يعانيها إلا من يعيشها

الحب سلطان ولذلك فهو فوق القانون

الحب كالحرب من السهل أن تشعلها..

لكن من الصعب أن تخمدها"

فمن يخمد حبك في قلبي، فلم يكن حرباً عاديةً بل كان أشبه بحرب عالمية ثالثة في زمن الحروب.

الوقوع في الحب شيء خطير جداً، فهو يسرق منك راحتك ويأخذ منك كل شيء وينسيك نفسك.، فقط كان يقسو عليّ كثيراً وينتزع مني قلبي بدون رحمة، أعرف أنهُ دائماً يقول أنهُ لم يقصد يوماً أن يحزنني، لكن صدقوني لم أحزن يوماً بسببه، بل بسبب ذلك القدر..

فبعد كل خيبة كنتُ أحتفي بهِ من جديد وأساير مشاعره الصامتة وأوافق على كل شيء يقوله فقط كي لا يرحل، وأقبل بنصف وجود ونصف مشاعر والنصف من كل شيء، إلى أن قتلني للمرة المئة وسرق مني كل الكبرياء حينما قال لي للكِ حياتك.، تحولتُ حينها إلى جثة حب في مرحلة الاهتراء، ولم أعدْ أبصر شيئاً أمامي.

وبتُّ بين القبور أمشي، لا أعرف أين اسمي مسجّل، أو أي شاهدة قبر هي لي، وفجأة عادت روحي إلى جسدي بشكل غريب بسبب قبر أحدهم الذي جعلني أتراجع وأتمسك به أكثر، كانت تلك الروح مشحونة بالكبرياء

وبالمزيد من الحب، لكن بصمت، كانت تلك الروح ليست لي بل كانت روح ماري زيادة.

قرأت قصصاً كثيرة ومقالات عديدة عن الحب، عن ما هو، عن عشاق لم يلتقوا، عن أحباب جمعهم سقفُ الغرام، ومنها من ترك الأموات بلا قبور يتجولون في بيوت أحبابهم كالأشباح، يلقون عليهم السلام ويطمئنوا عن أحوالهم ثم يأخذون زاوية لهم ويشاهدونهم يضاجعون غيرهم، ودموعهم تسير من حولهم.

كتابة هذه الكلمات أشبه برسائلي، ستقول كم غبية هذه الفتاة، كم هي مختلة عقلياً لا تعرف ما هو الصواب، قرأت مرة عبارة أن العقل والحب لا يجتمعان والحب بلا جنون لا يسمى حباً، وأنا التي قد اعترفت لك بجنوني عدة مرات، وأثنيت أنت على ذلك، بعضهم نصحني أن أبتاع أشياءَك أو أحرقها أو حتى أن أرميها في مكان بعيدٍ عن قبري، لكني كنتُ أعشقها أكثر منك، ورفضتُ التخلي عنها ووضعتها تحت شاهدة قبري حتى لا يمسها أحد.

يخيلّ لي الآن أنّك أمامي وأحاول أنا انتزاع ساعتك من معصمك، فتسألني لِمَ؟ فلا أجيب، لكن في نفسي أقول حتى أحظى على مشاهدتك من خلالها فربما هي الشيء الوحيد التي لا تفارقك، كخيالي.

لقد نالت إعجابي فقرة قرأتها في رواية (عابر سرير) لأحلام مستغانمي حينما تطرقت لقصة حب بلزاك الذي أحب السيدة هانسا، المرأة

الأرستقراطية التي تراسل معها ثماني عشرة سنة ومات بعد زواجه منها بستة أشهر، كان يقول لها والخيول تجرّ كهولته في عربة تمضي به معها من ثلوج روسيا إلى باريس: ((في كل مدينة نتوقف فيها، سأشتري لك مصاغاً أو ثوباً. وعندما سيتعذَّر عليَّ ذلك، سأقص عليك أحدوثة لن أنشرها)) ولأنّه أنفق ماله للوصول إليها، ولأن طريق الرجعة كان طويلاً، قد يُكون قصصاً كثيرة.

حتماً هذا هو الحب، وأجمل ما فيه، أنّنا نخص من نحب بأشياء لا تمس غيرهم.

أردتُ أن تكون رسائلي لك كأقاصيص بلزاك، كرسائل ميّ.. لك فقط، ربما سيختلف الأمر، لأن الجميع سيقرأ محتواها لكنها تخصك أنت فقط، مرسلة لك دون غيرك.

البعض يقول أن الحب مرض عضال، قلةً من يشفى منه بعد الإصابة به، يتخلل الجسد ببطْء ويجري في الروح، فيؤلم تارةً، ويطبب تارةً أخرى، كمرض السرطان، ستقول أي تشبيه هذا؟؟ من يشبه الحب بالسرطان!!

نعم إنّهُ السرطان، وكيف تشفى من السرطان، سؤال حيّر العلماء وأعظم الأطباء، بعضهم وجد لهُ دواء، وبالفعل داوى الكثير لكن العلاج منهُ يتطلب تكاليف باهظة ومجازفة وآلماً، والمصيبة أنك لن تعرف إنْ كنت بالفعل ستشفى أم ستعدّ أيامك لملاقاة حتفك، تماماً كالحب (مصير مجهول) حتى ولو كنت في أقصى مراحل الراحة بذلك المرض أو معلقاً على سطح

جبل على وشك السقوط، فالناجون من هذا المرض نادرون فربما سينتهي بك المطاف بعد كل ذلك العناء إلى القبر، وربما تكون من المحظوظين وتعيش إذا شاء الله، والحب يا سيدي هو السرطان لكن بغير مسمى.

تعلمتُ من ذلك الحب أيضاً أن الموت لا يوجع أبداً بل أشلاء الحنين التي يتركها أولئك الموتى خلفهم، هم موتى حتماً حينما يستسلمون ويتركون خلفهم ثكالى عشق وأرامل أمل، الحنين وحده من يقتل الروح فينا، واللقاء من يعيد الأمل للحياة من جديد، كلماتك التي حفظتها وصوتك الذي بات صوتاً لدقات قلبي وكل شيء بكَ بات موجعاً ورائعاً يا سيدي.

في حنيني إليك، لم يكن البكاء أنيس وحدتي على العكس تماماً فأنا أشفق على البكاء، فهو لم يكن يوماً من يفرج همومنا، إنما شيء آخر من يفرج الهموم، وهو التقرب من الله والدعاء في السجود، وقد لازمت الصلاة والدعاء في كل سجدة أن يجمعني الله بك.

أتعرف لّما أكتب هذا الكتاب، أؤمن كثيراً بجملة قالتها أحلام مستغانمي "الرواية طريقة الكاتب في أن يعيش مرة ثانية قصة أحبها، وطريقته في منح الخلود لمن أحب".

***

ابتغيت الكتابة عما بداخلي وما أريد أن أبوح بهِ منذ عرفتك للآن لك أنت فقط، تبنيت الكتابة من أجلك ولأجلك.

لقد علمتني أشياء كثيرة وأحببتك لدرجةِ الجنون، وكان عشقي لك لا يتوقف رغم كلّ الآلام التي كنت تتعمد أنْ تزرعها في قلبي، أعلم أنّي كنتُ في بعض الأحيان أجعلك تتركني لكن بدون تفكير سليم صدرَ مني، ولربما كان الغباء الأكبر الذي فعلته، أكثر ما كان يؤلمني كثرة الإنكار الذي لا معنى له، فكان السبب الرئيسي لإبعادك عني بغرض صعوبة قولِ الصدق.. وأعمق الجروح إني تقمصت شخصية مختلفة عني تماماً وأبعدتُ حقيقةً ربما كنت تعشقها..آلام كبيرة يا هذا قد وضعتها بنفسي بقلبي، وما أشد الآلام سوى أن تقتل نفسك بنفسك عمداً..مع ذلك أكثر من مرة كان تفكيري أن أقولَ لك كل ما في قلبي وليحصل ما يريد الحصول.. فلمْ أعدْ أملك شيئاً لأخسره بعدما خسرتُ روحي ألا وهي أنت، وهنا بدأ العذاب والصراع ما بين أقول أو لا أقول وما بالك بمثل هذا الشعور، حتى أصبحتُ أتنقل ما بين رأي قلبي الذي كان يقول لي باستمرار قولي فربما تستعيدين روحك وما بين عقلي الذي سيطر عليّ بشكل كامل إياكِ أن تتفوهي بكلمة واحدة مهما يكن ستخسرين كرامتك، وهنا بدأ الدمار الحقيقي لجسدي الذي يتحرك دون روح.. لم أخشَ يوماً حبك، بل كنتُ أفتخر به وبأني عشقتُ يوماً ما حتى لو كان حباً خيالياً بحتاً، لكن لم يكن خيالي، كان أنت. فؤادي أحبَّك وغرق بك دون رقابةٍ مني حتى.. يقال أن الحب يأتي من حيثُ لا نعلم ولا ندري حتى متى يحين، ليس لهُ زمان ولا مكان محدّد، يأتي دون إنذار، يقتنص منا روحنا، يشبه الحرب وينتشل مؤقتاً منا السلام، فتبدأ أولى المعارك بجملة، هل يا ترى يحبني كما أحبهُ؟

فربما ينتهي بسلام وربما يستمر كحرب عالمية لا تهدأ، فإمّا يلجأ لعالم غير عالمه ظناً منهُ أنهُ سيحظى ببعض من السلام وربما ينتهي بفجيعة، فيصبح ذلك السلام أقسى من الحرب ذاتها فيسرمد شهيد الحب وهو على قيد الحياة، لكن بالدعاء كل شيء يتغير حتى الأقدار تصبح كما نريد، فتموت الحروب وتنام أرواحنا بأجمل سلام ألا وهو اللقاء.

قصة الرسائل..

حينما شئت أن أتأكد من عواطفي وبالتزامن مع تصفحي لكتاب الشعلة الزرقاء (رسائل جبران خليل جبران إلى مي زيادة)، راقت لي فكرة مخاطبتهِ على شكل رسائل، ولغايتَين لي: أن أتأكد من مشاعري وأعرف شعورهُ تجاهي، الذي لطالما كنتُ أشعر بأن هنالك شيئاً غامضاً فيه أو ربما كان يحبني، ويخفي ذلك عمداً، حتى يتأكد من مشاعري أولاً.

قرأت الكتاب، أثارت إعجابي ميّ التي لم تنشر من رسائله إلا أجزاء بسيطة جداً وراقت لي كلمات جبران إليها وحروفه المرتبة والحب الذي دار بينهما، لطالما كان حلمي أن أعيش مثل تلك القصة، لم أكن مثل غيري ترضيني الكلمات أو يسرق قلبي اهتمام بسيط من أحد، كنت أريد قصة تعذبني تنشل مني روحي وتجعلني أبدع من خلالها بالكتابة.

وأنت من كان يقول لي بعد كل حرف أكتبه ((مبدعة)) فزادتني تلك الكلمة إصراراً على أن أكتبك في كل شيء حتى يكون لك من الإبداع نصيب.

وبدأت بصف حروفي وبوضع لغز وانتقاء مفردات محاولةً أن أشدّ انتباهه، وتوسعت بترتيب أفكاري بذكر بعض من اقتباسات راقت لي من رسائل جبران خليل جبران.

وبعد أول رسالة، حدثني فور ذلك، وهنَّأني حينها وقال لي أنها نقلة نوعية ومختلفة عن كلّ كتاباتي، أسعدني ذلك ليس فقط ثناؤهُ بل تأكدت أنهُ سيتابع القراءة وتشجعتُ على كتابة رسالة أخرى وبالفعل نالت إعجابَهُ ايضاً، لكن أنا من ذوي فاقدي نعمة الصبر، فبدأتُ بالكشف أكثر عن شخصية جبراني في رسائلي حتى إن كان يحبني ليأتيَ ويقولَ ما في قلبه، لكنهُ لم يتحرك، وفي حديث دار بيني وبينهُ عن الشرقية، قال لي عدة أمور، فشئت أن أفصح عن مشاعري بشكل غير مباشر في الرسالة الثالثة من خلال تطرقي لموضوع الشرقية، وبالفعل وجدتُ إجابة منهُ لكن ليس كما أردت، فاضطررت للكذب والهروب كعادتي، وتغزلتُ بلحيته التي صنعها من أجلي في الرسالة السابعة، وبدأ بروده يقتلني فأصبحت رسائلي معظمها تتحدث عن الخيبة والصمت، إلى أن تركتها بلا نهاية وأحبط قلمي، فأصبحت تلك الرسائل ليست سوى رسائل عليها أن تحرق وتحول إلى رماد، لكن ربما عليها أن تبقى وتتحول لكتاب، سيقرأهُ هو يوماً ما، سيذكرني كثيراً وسيبتسم كثيراً، وربما يكون هنالك أمل أن نقرأ هذه الكلمات معاً، جالسين على أريكة مخملية مريحة جداً ورأسي الصغير متكئ على صدرك والكتاب يتوسط يدينا.

تحت إنارة خفيفة، في شهر كانون والثلج يتساقط فيَّ ودفء الحب يملأ المكان وابتسامتك لا تغيب عن وجهك، نحمل ذات الأكواب، أكواب شاي كما تحب، وتلحّ عليّ أن أقرأ لك كل الأجزاء التي تحتويها كلمة أحبك، تحب رؤية خجلي حينما أقول تلك الكلمة، يروق لك احمرار وجهي.. فكيف لا أحبك وكيف أقلع عن حبي لك، صدقني أن هذا هو ما يعزيني في هذا الحب.

أردتُ جمع الرسائل في كتاب

لتكونَ هدية لكَ، لتعرف كم أحببتك..

سيقرأها ربما آلاف البشر، لكنها لك فقط.

أردتها كزجاجة الماء التي طلبتها مني مرة من حلب،

أردتها كما أرادها بلزاك للسيدة هانسكا، وكما كانت رسائل ميّ لجبران، لكن بطريقتي أنا.

فليس ثمة ساعي بريد أفضل من الكتاب، توضع بهِ تلك الرسائل وتصل إلى صاحبها المبجّل.

رسالة رقم 1

رسالة إلى جبران ذلك القدر الحاضر الغائب عن كلماتي

جبران، أو قدري الحاضر الغائب عن كلماتي:

أردتُ أن أكتب الكثير من الكلمات لأتجنب كلمة الحب، فالحب في هذا الزمان بات متاجراً به، فالحب لم يعد لهُ مكان.. ولا وجود لهُ هنا بعد الآن.. فالذين يظنون أنفسهم عشاقاً فهم أولئك الذين يوزعون مشاعرهم ويقيسون الحبّ بمقياسهم كما يرغبون، إلا أنَّ تلك الكلمة هي بريئة منهم، في زمني هذا لم أرَ قصة حبّ حقيقية، لكن ما معنى هذا الذي تفوهت به، أهو حكمة أم واقع أم ماذا أريد أنْ أصل به..لا أعرف!!!

ولكن أعرف أنّك شخص مختلف لي عن الجميع وأنني أرى الحياة بك، مي زيادة تعلقت بجبران من كلماته، أما أنا فقط كانت نظراتك بديلة عن تلك الكلمات، لا أعلم لِمَ أرى فيك الاختلاف..مع أنني أخاف من الحب أن يخمد قلبي، ومع أني لا أعلم عن تلك الكلمة أي شيء، إلّا أنَّ إحساسي الآن زاد رغبة لروحي بالحياة، كيف أفصح عن ذلك لك.. وأنا أفضل أن أهاجر وأصعد الفضاء أهون عليّ من البوح بتلك الكلمة، أحمد الله أني أكتب هذه الكلمات كتابة ولم أتفوه بها.. لأنك لو كنت أمامي لهربت روحي خجلاً واختفيت نهائياً حتى تنسى.. حتى هذا الكلام ألوم نفسي عليه.. فروحك

الحائمة حولي.. تصبغ روحي خجلاً من أنك تقرأ كلماتي فلا أعرف كيف أقول لك وأنا أنظر إلى عينيك أني أحبك..

سأهرب وسأرحل عقب تفوّهي بتلك الكلمة حتى تنسى مع أنك لن تنسى وسأصاب بنوبة خجل، وكأن ميّ تعلم أن سيأتي بعدها أحد يتبنى قصة عشقها التي لا مثيل لها في هذا الكون ويحتل قلبي، فقالت ميّ مرة في إحدى رسائلها لجبران (ربما وُجد في هذه الحياة من هي مثلي، لها جبران واحد، تكتب إليه الآن والشفق يملأ الفضاء وتعلم أنَّ الظلام يخلف الشفق وأنَّ النور يتبع الظلام وأن الليل سيخلف النهار، والنهار سيتبع الليل مرات كثيره قبل أن ترى الذي تحبه... فتتسرب إليها كلّ وحشة الشفق، وكل وحشة الليل، فتلقي القلم جانباً لتحتمي من الوحشة في اسم واحد: جبران)

***

كلماتي هذه قد قرأتها أنت من قبل وأعجبتك كثيراً وقلت لي حينها (مبدعة).

كان يكفيني هذا الثناء منك، لربما كانت هذه الكلمة أجمل من كلمة أحبك.. تمتعتُ بها كثيراً، وأحببتك من خلالها أكثر، وأصبحتُ أصر على أن أظهر أفضل ما لدي، كيْ تقولها لي مرةً أخرى.

فأردت كتابة المزيد من خلف تشجيعك لي ولأنني تأكدت أنك ستتابع القراءة.. كتبت رسالة أخرى..

***

رسالة رقم 2

جبران (القدر الحاضر الغائب عن كلماتي..)

أليس غريباً أن تفعل كلمة واحدة منك ثورة في روحي، مع أنها كلمة عادية، بدون معنى فقط لأنها منك باتت شيئاً لا أبالغ إنْ قلت إنّها كانت جرعة حياة لروح قد اغتالها الموت، فتحول تلك الكلمة.. الصمت المضمر في روحي إلى ضجيج رائع يعتلي قلبي، قلتُ لك إني أخاف من الحب وأخاف من نطق تلك الكلمة وأفضل الاختفاء على البوح بها لك..

رغم أَن جبران قال لميّ (تقولين إنك تخافين الحب! لماذا تخافينه؟ أتخافين نور الشمس؟ أتخافين مدّ البحر؟ أتخافين طلوع الفجر؟ أتخافين مجيء الربيع؟ لماذا يا ترى تخافين الحب؟)

لنقل أنك قلت لي هذه الكلمات سيكون ردّي مختلفاً عن مي، سأقول: أخاف من حياة تخلو منك، أخاف أن لا أكون لك وأبقى برسائلي هذه أخاطب خيالاً مع أنه واقع، أخاف ارتعاش قلبي أمام الجميع فينطق باسمك بدل من كلمة السلام عليكم، فماذا أفعل.. قد شجنت الكلمات جميعها بغيابك، أخاف من نهاية كنهاية مي زيادة.. أخاف أن أصاب بالجنون بك.. وأن أضيع بكلماتي معك فأعشقك اكثر أخاف الحب فلماذا لا تسأل!!؟؟

***

رسالة رقم 3

جبران (أو قدري الحاضر الغائب عن كلماتي)

ما يميزني عن مي برسائلها إلى جبران، هو أنها كانت سرية وكان وحده من يقرأها، أما أنا فهي للعامة مع أنها موجهة لك فقط دون غيرك، وأعلَم أنك تقرأها، ويواسي ذلك قلبي كثيراً، ويسعدني أيضاَ.

لقد استسلمت لقدري ألا وهو أنت، ووضعتُ قانوناً: إمّا أنت أو الوحدة كما فعلت ميّ، وهذا برأيي ليس جنوناً، وحتى لو كان جنوناً فما أبهى الجنون بك.

إن كلماتك تلك العادية جداً جداً، هي لي شيء ثمين، شيء رائع قد حصل لي وطريقة حديثك وانتقائك للكلمات كشخص مليء بالتجارب تجذبني لفتح أي حديث أي كلام أي شيء لا ينتهي..!!

أشتهي أن تقرأ كلماتي وأنا بقربك، أن تضحك عليّ تارةٍ وأن ترمقني بنظرة حب تارةٍ أخرى فأكتفي، حتى تترنح الحروف ويأتي الإيحاء من عينيك وتغرد الكلمات كأنها عصافير تجول حولنا حتى يتسنّى لقلمي المزيد من الكتابة عنك ولك.. فقط هذا كل ما أتمناه، فهل تلك الأمنية بمعجزة!!

***

رسالة رقم 4

جبراني (أو قدري الحاضر الغائب عن كلماتي):

ربما من الأفضل أن نبقى بعيدين، لا يجمعنا سوى سلام تلقيه أرواحنا كل صباح، فيبدو هذا الحب سيحمل الكثير من المصاعب ولربما هو عشق غير مبارك به في هذا الزمان، فقط لأنهُ حب عذري، لكن هذا الذي كنتُ لطالما أتمناه.

فكنتُ عند حسن ظن ربي فاستجاب لدعائي ووهبني مشاعل هذا الحب البريء، المكتظ بالأحلام، الصعبة وليس المستحيلة، فهذا الحب مجرد من كل ما يحدث الآن في زمني هذا..الذي لا يشبهُ زمن ميّ وجبران.

لاحظتُ من كلماتك أنك عرفت إنك جبران وأسعدك ذلك، لكن كعادتي أفسدتُ على نفسي تلك اللحظة، ونكرتُ كونك أنت هو المقصود، بطريقة غير مباشرة حتى لا أجرح مشاعرك بكذبي ذلك.

قد رأيت فيك رجلاً محبّاً للتقاليد، مع أني لستُ عدوة لتلك الكلمة.. إلا أنك تبالغ بميلك لذلك الاتجاه، وأخالفك بقولك أن لا وجود لشيء يدعى حب، فأنا أرى أنَّ هنالك حبًّا في هذا الزمان (حباً عذرياً كحبي لك وحبك لي) بعيداً عن السخرية كما وصفنا في حديث ماضٍ.. حبنا ليس ضبابيَاً

كحب مي وجبران بل هو بجنوني أنا سيطلق عليه اسم الحب المتسرع الغريب كأمري أنا، من كثرة التسرع في محادثتك في كل مرة وغياب كلمة كبرياء عني، لا أظن أنّني سأعاود الحديث معك.. ربما حان دورك..أو ربما يكفي ما فعلته أنا وينبغي عليك المضي قدماً نحوي.. وربما لا ينبغي!!!

صدفة اليوم كانت رائعة، كانت فريدة من نوعها، صدفة غريبة.. بل كانت من أجمل الصدف.. ظنك بأن هذه الرسالة تقصدك رغم أنكاري لذلك.. إلا أنك ظللت

ملحاً في أعماقك على أنها لك، كان أولى بشائر لبزوغ الشمس على حياتي.

***

رسالة رقم 5

جبراني (أو قدري الحاضر الغائب عن كلماتي):

بدأت بكلمات قليلة، وبحروف من الغزل هزيلة.. حاولت أن تبقى في أوج قوتك وأن لا يحركك أي من كلماتي، سألتك إنْ كنت تهوى الشعر فكان جوابك بارداً محاولاً أن تظهر عدم اهتمامك به، لكن تجاوزت أنا ما أردت ستره أنت، وأرسلت لك قصيدة حروفها نُقشت لك، أشعر وكأني أكتب لذاتي وكأنك سراب لا تتحرك، ومع أنك إنْ قرأت هذه الكلمات سوف تتأكد أنك أنت المقصود وأنت جبراني أنا، لكني أخشى من وهم، زرع في رأسي ولا يرغب بالرحيل.

يضحكني حبي هذا كحبّ زهر الياسمين للشام، خالٍ من الآلام وبعيد المنال في ظلّ حرب الخلاص منها محالٌ، كأنني قد تعمقتُ أكثر مما ينبغي.. وكأنك بالغت في برودك، ربما لا يعني شيئاً هذا!! سوى أنه يتوجب عليّ حالياً الصمت ومداعبة قلمي بشيء آخر، لا تنتظر مني أن أتفوّه بتلك الكلمة، رغم أنني قد قلتها ألف مرةٍ من خلال رسائلي السابقة.

لكن دعك من الكبرياء وقناعك ذلك، فأنا لستُ من بدأ بهذا الحب الغامض، أنت من بدأ بسلسلة الاهتمام تلك،

أنت من ربى لحيته لأجلي، من كان يشتدُ غيظاً من إعجابي ببعض المشاهير، من كان يوحي لي أنني لهُ، أنت من بدأ هذه القصة وأقسم على ذلك.

جبراني أستغرب أمرك وأمري الذي بعد كل هذا الصبرِ على قصة حب خيالية أن أقع ضحية وهم ربما أو ضحية كبرياء.

وربما لا ذنب للكبرياء هنا، فأنا التي كانت تبعدك عنها بحماقتها وتهربي من حديث الحب.

لستُ أدري ماذا أقول سوى أنني بانتظار كلمة وأخاطبك بعدها برسائلي هذه من جديد.

***

بخلت علي بتلك الكلمة ونفد صبري منك.. فكتبتُ المزيد من الرسائل وأخفيتها عنك، لكن حينما أنت صمتت، قررتُ أن أرسلها إليك..

فكتبتُ هذه..

رسالة رقم 6

جبران (أو قدري الحاضر الغائب عن كلماتي)

جبراني..

ماذا أخبر نفسي عن لون السماء في عينيك

أأحدثه كيف وقعتُ في هواك

أو كيف سقطت روحي سهواً

كمعزوفة بقيثارة حملتها بيديك

لا أدري ماذا جرى

ربما روحك في شرياني مع الدمِ قد سرت

وأطلت أحلامي كسربِ حمام

ترك الشتاء بحثاً عن ربيع دافئ

فكنت أنت الربيع لها..

كنت

كقطرات المطر في منتصف أيلول

كشمعة مضيئة في منتصف

ظلامٍ عميق..

ماذا فعلت بكلماتي

لتغدو كرحيق عسل

أو ماذا عساي

أن ألفظ عن عينين

توارتا بمحبرتي

ولا تأبى الرحيل..

****

رسالة رقم 7

جبران (أو قدري الحاضر الغائب عن كلماتي)

بدايةً لا تقترب من لحيتك فهذه لي.. دعها كما هي، أعشق خشونتها فهي تضيف إليك نوعاً من صمتك الذي يقتلني، ما هذا التشبيه لا أدري، فربما بات كل شيء واضحاً واتضح لك الأمر وباتت مشاعري ظاهرة، فخاطبتك برسائلي السابقة بكلمات واضحة إرضاءً لكبريائك الممتلئ بالعلل، وصمتك الشحيم المتعمد لقتلي، إلا أنك ما زلت تلك الروح التي يستمد قلمي منها القوة، لذلك كن سعيداً وإياك والحزن، لا تدع أحداً يأخذ منك ابتسامتك تلك التي تبدأ بقصيدة وتنتهي بتنهيدة، فأريدك أن تسمو إلى أعلى القمة وتغدو من قادة الحب ممَّن ينبغي أن يخبر هذا العالم ما هو الحب، أريدك أن تصبح أعظم شيء في هذا الكون. انتبه لنفسك جيداً، لا تسأل لماذا هذا الوداع فأخشى أن أبوح بتلك الكلمة، فتتمرد كلمة شرقي على روحك وتبتعد وينتهي بي المطاف على حافة عشق تجلى في رسائل وهمية، رحل عنها من كانت له..

ربما قد بات يجب أن أمحي تلك الرسائل أو أن أحرقها بمكان لقائنا حتى أنسى وتنسى أنت ولا يبقى أثر لروح أي شيء.. وتنتهي قصة لم تبدأ بعد.

***

ظننتُ أنه قد أنتهى هذا الحب الرحب بصمتك، لكن شيئاً ما يجعلني أكتب المزيد، يضحكني أمري الذي يجعلني في كل مرة أتطرق بها إلى الوداع، ليكون بداية لبزوغ أمل جديد في تجلي هذا العشق.

رسالة رقم 8

جبران (أو قدري الحاضر الغائب عن كلماتي)

في الرسالة الماضية قررتُ أن أنهي كل شيء وأضع حدّاً لهذا الوهم وأنني يجب أن أنسى وأخرج من تلك الحالة، وأطلق عنان الوداع.. إلا أن صدفة أعادت إحياء تلك الرسائل قبل أن تحرق ويتحول خيالك العابر إلى غبار، وكأنها إشاره من القدر حتى لا أفرط بهذا الحب عند أول عقبة وضعتهُ أنا بنفسي، ربما لأني أخشى من السعادة.

من الطبيعي الآن أن يتساءل من يقرأ هذه الكلمات عمّا إذا كان يستحق صاحب هذه الرسائل كل هذا الحب المشتت بدوامات بحر هائج بعيد عن هذه الحياة، فهل يا ترى تستحق كل تلك المعاناة!!؟ أعلم أنك لا تشبه جبران بشيء وبعيد كل البعدّ عن إحساس جبران بميّ، وأنك لا تناديني بصغيرتي المدللة ولا حتى بعزيزتي، إلا أن قلمي باح بالكثير من أجلك، فآثرت أن يكتب عنك أجمل ما قيل منذُ بدأتُ أنا بالكتابة، لا تغترّ فباستطاعتي أن أغير مسار عالم وليس قلم فقط، وكفى فلتتجرد من كلمة شرقي ولو لثوانٍ، وانطق بتلك الكلمة العالقة في حنجرتك.. فصدفتنا تلك لم تأتِ عن عبث، كانت غريبة ورائعة وتحمل في طياتها حكاية أجمل من حكايات شهرزاد.. فيا ليتك تتحرر من قيودك، ويكفي أن تؤلم روحك

لمجرد أنهُ يتوجب عليك أن تتكلل بالكبرياء،فهذا ما تدني إليه عاداتك وليس أكثر، كن كما قلت لك في رسالتي الماضية من قادة الحب ودغدغ أحلامي بلقاء علّهُ يكون قريباً. جبراني سأنتظر على الأطلال ما يمكن أن تفعل من أجلي، سأجلس وأرى إن كنت تستحقني وسأكبل يديَّ حتى لا تكتب لك شيئاً حالما بقيت صامتاً، مع انني أعلم أن صمتك يخفي خلفهُ أشياء كثيرة، وأخشى أن يكسر حاجز صمتك فتضيع روحي في روحك، فعلك تنجدني من ذلك السبات وتعطي لجسدي روحاً كادت من شدة الانتظار تصعد للسماء.

لكن..

أنتظر سيكون هنالك المزيد من الرسائل..

***

رسالة رقم 9

جبران (أو قدري الحاضر الغائب عن كلماتي)

كفى، طالَ صمتك، وبدأت أشعر بالضجر.. نعم جميل أن يكون لديك كبرياء وأن تكون رجلاً لا يهزه عطر فتاة، لكن قد تبعثره كلماتي أنا.. فصمتك يعني شيئاً واحداً هو أني لا أعني لك شيئاً وانتهى الأمر.

دعك من التفكير قليلاً أنا أنثى لا أشبهُ أحداً من جنسي، أعشقُ بطيبة أو كما تعبر عنها أنت بالهبل، أصدق كل شيء، لا أعرفُ الكذب وأكشف سرياً إن كذبت، إن لم تهتم فأنا لن أهتم بعد الآن، صدقني لستُ جائعة للحب وذاكرتي خالية من كلمة آدم..، ستقول ما هذا التناقض!! ربما تناقض لكن إن هزّ أحدهم عرشي فليصلِّ على روحه صلوات الجنائز وليهيئ كفنهُ بيديه، بدأتُ أشعر بالضجر وكأنك تقول لي بهدوئك، لا تتعبي تفكيرك بي فأنا أقرأ كشخص عادي كلماتك وليس كجبرانك، تلافي وجودي وفكري بذاتك، هذه الكلمات التي تختفي خلف صمتك ولا أشك بأني مخطئة بذلك، وهذه المرة صدقني سأبتعد وربما سأرحل من عالمك الذي لم أدخله بعد، فأكره أن أعلق على كفّ قدر مجهول الهوية خالٍ حتى من الصور. فما أجمل لعنة هذه الرسائل.. رسائل لم ولن تصل وستبقى في مهب الريح، تحاكي الأشجار

والمطر والسماء، ترافق الطيور وترحل بعيداً، إلى أبعد مكان عنك، ولا تحاكيك أنت.

***

رسالة رقم 10

جبراني (أو قدري الحاضر الغائب عن كلماتي):

أه أيها الخيال العابر فوق مدينتي، تأبى أن تتحول لواقع وتأبى أن تخرج من مملكتي، لربما قد غصت أكثر من اللازم وتعمقتُ بك.. وبدأت علامات الفشل لعملية تفوهك تظهر، ولم يعد إبائي يدعني أحادثك، فسكوتك يثير حرباً أوشكت على أن تنهي كل ما لدي من مصادر الحياة، فأنا لا أريد أن تحادثني فقط لأنّي طلبت،أريد حديثاً تحتاجه أنت ليمدك بالحياة كمَا يمدني صوتك ووقع كلماتك للعيش على هذه الأرض.

أو ليس من الطبيعي أن اشرب أخبارك وأتناول بعضاً من كلماتك ليسير قلمي بشكل أفضل ولتعطي وقوداً لذلك المسار الذي حدثتك عنه، حتى حلمي ظن أنه سيتحقق بقدومك.. والسفر لذلك العالم الرائع لا يصلح بلا وجودك، يبدو أني أحلم.. كل ما أريده هو أن تكون سعيداً لا شيء آخر. بل أن تكون سعيداً معي أنا، فأنا أفتري حينما أقول تهمني سعادتك ولو كانت مع غيري، فأنا لا أتمنى سعادة لك بعيدة عني، أعشقُ أنانيتي بك التي لن تنتهي حتى أنتهي أنا، فرغم أن كل ما حولي يؤكد أننا لن نلتقي، لكن السماء تعدني دائماً بلقاء قريب، قريب للغاية بإذن الله.

***

رسالة رقم 11

جبراني (أو القدر الحاضر الغائب عن كلماتي)

يبدو أنني لم أعد أستوعب شيئاً أو حتى أن أفهم ماذا تريد أنت مني؟؟ لقد خاطبتك بلغة واضحة وبكلمات عميقة، وأنت تحاربني بصمتك الذي لا معنى لهُ، كل ما أشتهيه هو حديث طويل لا ينتهي معك، فربما قد يعوضني عن صمتك الأصم الذي كاد أن يغتالني، ربما..

ما أرغب به حقاً هو كلمة.. فهل تكرمت بالرد على كلماتي، فلقد وصفتُ كل صدفة ونظرة وحديث في رسائلي وتوسعت بمعاني تلك الأشياء أما أنت على حالك تأبى الكلام، فبدأت أضجر من ذلك، اسمعني جيداً لقد قررتُ أن أنهي رسائلي بالرسالة رقم 7 ووضعتُ حدّاً لمشاعري بأن تطفو أكثر من ذلك، فبدأت أهيئ نفسي لأعود كما كنت، إلا أن صدفة جعلتني أكتب رسالة أخرى وهذه لا أعاتبك عليها فهي من صنع القدر، لكن أن لا تفارق أحلامي حتى أثناء النوم وأن تعود باهتمامك ورمي رموزك تلك، التي لا أفهمها أبداً، وصيانتك لِلحيتك كما رغبت أنا!! هنا أمتلك الحق بأن أعلم ماذا تريد، فقط اكتفيت بالصمت، فإني أتوق إلى أن أحدثك عني وعن ماذا فعلت بي، أرغب بامتلاكك لي وحدي، أرغب فيك أنت. متأسفة أنا على

ذاتي، وعلى ما أوصلت نفسي إليه، وأعتذر على عجز قلبي على الصمت أمامك.

***

رسالة رقم 12

جبران (أو قدري الحاضر الغائب عن كلماتي)

لربما حان الوقت لتغيير هذا الاسم أو حذفه نهائياً، وربما لم تعد جبراني حتى، فكم أتمنى لو أنَّك تخرج من تلك العقد النفسية وتهدم تلك الحواجز الوهمية وتخطو لو خطوة واحدة نحوي، لتعلن لي فجراً جديداً لحياتي، مع أنني على يقين أنك ستبقى على حافةِ السكينة، وشمسي بك لن تشرق وسيطول هذا الظلام كثيراً، قد أقترب أن ينتهى الأمل منك وأن تنتهي أنت معه، فقط أصبحت سمائي تكتظ بالغيوم المشتتة متعددة الأشكال، وغابت كل النجوم واختفى القمر ولم يبقَ إلا بقايا غيوم بعد عاصفة وبعض من قطرات المطر.

لقد أصبحتُ أشكُ في أمري فكلما تعمقت في رسائل جبران ومي تعمقتُ بك أكثر وأوشكتُ على الوقوع في شغفك دون منجى.

كأن مي هي أنا في تفاصيل كلماتها في شخصيتها في وفائها في شموخها لحبها لجبران، على عكسك أنت، الذي لا تمتُّ بأيّ صلة لأي صفة من صفات جبران، لا أريد رسائل منك كرسائله ولا كلمات رائعة ككلماته، ولا أن تخاطبني بصغيرتي المباركة أو صغيرتي المحبوبة كما كان جبران يخاطب

مي، كنتُ فقط أتوق لكلمة منك، لأربع حروف لا أكثر، لكن لا تعذب نفسك فأنا الآن لم تعد لدي الرغبة بأي شيء فقط أصابتني عدوى برودك فأصبحتُ مثلك.

جبراني يتوجب الرحيل والابتعاد فلا أمل في أي شيء مشترك يفعل شخص فيه كل شيء ويبقى الآخر جالساً يستمتع فقط دون أنْ يقدم أي كلمة تستطيع أن ترمم تعب الآخر، يبدو أنهُ بالفعل يتوجب أن أنهي هذه السلسلة من الرسائل وأعود كما كنت وأخرج من حالة خلقتها لنفسي فأخطأت بحق روحي حينما ظننت أنك أنت جبراني.

ملاحظة:

أقلع عن سيجارتك تلك، فإنّي أخشى عليك منها، دعها ولا تضعها في فمك، فهي تقتلني قبل أن تقتلك..!! حتى لو لم تعد جبراني أقلع عنها ليس لأجلي بل لأجلك.

***

رسالة رقم 13

كُتبت بتاريخ16-9-2014 ولكن أرسلتها لك اليوم لمعنى يكمن في قلبي..

أيها القدر الحاضر الغائب عن كلماتي:

كاذبة أعلم، لكن على من أكذب، عليك أم على نفسي، لم أتمكن من أن أنهي رسائلي أو حتى أن أنهي وجودك من مخيلتي رغم استمرار مشاعرك الخرساء وقطيعتك لي،

ربما هذا من صالحي حتى أعود كما كنت، لكن ما حصل اليوم جعلني أخاطبك بهذه الرسالة

حتى لو أنني للآن لم أفهم بعد أي سبب منطقي يجعلك أخرس المشاعر مع أنك تقرأ وأعلم ذلك، لا أطلب أن تقايضني بمثلِ كلماتي، كل ما أرغب أن أفهم شيئاً واحداً من أنا بالنسبةِ لك؟؟؟ قلها ولو بأي وتيرة، بأي شيء.

لقد كنت مختلفاً اليوم لا تشبه ذلك الشخص الذي عرفت، فكنت هادئاً يكسوك صمت وحزن يكمن في داخلك لا يراه سوى أنت ورأيتهُ أنا من خلالك أنت،

ربما قد انتبهت كيف هربت عيناي من عينيك في كل مرةٍ تتصادفان، وخيالك المتغطرس الذي مضى إليّ فسرق روحي من جديد، رغم مرور فترة صماء شريرة فقط.

أبعدت همسات روحي عنك، إلا أن هذا اليوم قدْ غير كل شيء، فأتلهف لرؤيتك من جديد وأخاف أن تفضحني عيناي وتغتر روحك بذلك، رغم أنني قد اتخذت قراراً بالابتعاد وإنهاء هذه الرسائل، لكن صيانتك لِلحيتك ونظرات عينيك تلك، ولدت قلماً جديداً يكتب رسائل ربما ستصل وأخيراً لك، فتضرعتُ لقلمي ليكتب المزيد من خطاباتي إليك، ولكن آمل أن تكون رسالتي هذه حلّا لشر صمتك بأن يتحول لخير، فعلني بكلمة منك أغادر كهوف الجحيم المسكونة بالأرواح السوداء ذات الظنون (أيفكر بي أأعني لهُ شيئاً)، سأنتظر وسأروض صبري على الترقب من بعيد، فعلني أجد نتيجة لما يحدث لي الآن، لكن ليس طويلاً فصبري جداً ضئيل.

لا تطل بردك على رسالتي هذه فصدقني ستكون حاسمة لمشاعري وسأكسر قلمي وسأحنط كبريائي كجثة فرعونية حتى تبين لي ما أردت..

***

رسالة رقم 14

(القدر الحاضر الغائب عن كلماتي)

حضرت الغافل الصامت المتعمد ذلك

حدثني عنك.. عن صفاتك التي أحفظها عن ظهر قلب، دعني أتشرب أخبارك اليومية، قل لي مثلاً كم محاضرة حضرت وكم فنجان قهوة حظي بك، حدثني عن القدر وكيف جمعني بك، دع صمتك جانباً وتكلم وانطق يا هذا كي تنتهي الحرب، ويصبح العالم بسلام، وكي يموت الفراق ويضيع الشوق ويرحل الحزن بلا رجعة، تكلم حتى يصبح معنى للكلام، وحتى تغرد العصافير أعذب الألحان.

هل تعلم يا عزيزي أنني كنتُ أجد في أحاديثنا السابقة ثغرات من الأمان، والكثير الكثير من علامات الأمل المتتالية للقاء، أه يا صديقي كم هو جميل وبديع ذلك اللقاء يشبه الربيع، وتطوق النحل للأزهار، قلتُ لهم أن في هذا العالم فارساً عربياً من صفوة الفرسان، قال تحلمين وزمن الرجال انتهى، وحتماً ستصابين بخيبة وخذلان، لكن كنت فارسي النبيل كالزير سالم، كامرئ القيس كعنترة بن شداد، فارسي الذي لن أحول عنهُ مهما كان، حدثني عنك.. حدثني عن كل شيء يخصك الآن.

لا تلوموني إنْ كانت مشاعري مباحة بشده لهُ، فما الضير يا سادة إنْ كنت أحبّ كما يصفني هو بهبل.

***

رسالة رقم 15

جبراني أنا (القدر الحاضر الغائب عن كلماتي)

لقد أعطتني رسالتك قوة عميقة أكثر من أن تهز كياني..أتريدني بكلماتك تلك أن تجعلني أصبو إليك أكثر، صدقني لا، فأصبحت باردة المشاعر تجاهك إلا أن ذلك لم يمنع أن أفتخر أنه همني أمرك يوماً ما.

لا تقل لي لا أحد يفهمني!! أنا أفهمك جيداً وأعلم أن ذلك لأجلي وأنك لا تقصد التعمد بالصمت إلا بسبب قدرنا ذلك، أعلم ذلك وأعلم أنك ممن أستثنيهم في نقدي لمعشر آدم وأنك بأخلاق أبي وأخي، لأنك تخاف الله وأعشق هذه الميزة بك، كنت أول شعور حملني للسماء وأغنى روحي بالوفاء ورأيت بك رجولة تفوق حتى الخيال.. لم أندم على البوح، ولا على دخولك عالمي فوجودك أغنى كلماتي وأن تغني كلماتي فذلك صدقني شيء عظيم للكاتب.هل تعلم يا جبراني أنني كنت أحلل كلماتك وأقرأ محادثتنا بتكرار غريب، وفي كل مرة كنتُ أعيد القراءة أكتشف أشياء وأشياء،ولكن كما قلت لك سابقاً (ما باليد حيلة).

أتقمص شخصيتك لبرهة وأضع نفسي مكانك، وأشعر بك، بكل شيء وحتى بشوقك إلي المستمر بصمت، أود أن أقول لك كلمتين: انتبه لنفسك

جيداً وكن على يقين تام أنني لن أنقطع عن الدعاء لك، حافظ على لحيتك وابتعد عن سيجارتك فهي تزعجني كثيراً.

***

رسالة رقم 16

جبراني (الحاضر الغائب عن كلماتي)

أنا الآن في حالة حنين، حنين تام..

بعد جوابك انتابتني حالة غريبة ربما كانت حالة راحة أو هدوء لأسئلة أجيب عليها.. فأعادت رسالتك إلى روحي ذكرى الف خريف وجعلتني أقف في وجه الريح، وأن أفكر وأتردد كثيراً قبل تكملة هذه الرسائل.. تقرأ أو لا تقرأ لم يعدْ ذلك يفيد، الآن أنا في حالة حنين لما قبل معرفتي بك، تلك الحالة رائعة جداً فقط كنتُ فراشةً ترفض أن تستريح، في رسالتي هذه أريد ذكر كل شيء منذ ألتقيت بك إلى الآن ربما ستبدو طويلة..

بدايةً لم أهتم لأمرك مع أنك أنت من بدأت ربما كانت نظراتك عادية إلا أنني تعلقت بها، لم أعرْك أي اهتمام ونسيت، وتوالت الأيام وكنتُ أراك باستمرار خلال تلك الفترة، لكن بقيت كما أنا.. فرغم وجودك مسبقاً إلا أنني لم أهتم، كنتُ أرى اهتمامي بحروفك، بإشاراتك، حينما تراقب خطواتي في كل مرة أمشي بها من أمامك. ربما أنا مخطئة ونظراتك تلك ما كانت إلا مجرد مشاهدة ليس أكثر، لكني أكثر من مرة رأيتك تنظر إلي وكانت عيناي تتصادفان مع عينيك متجاهلاً أنت كل ما حولي، وهنا بدأت

أتعلق بأن أحدهم يهتم لأمري فبدأت أهتم، وإيماءاتك المتكررة، والتفاتك في ذلك اليوم عندما رأيتني وحينها لم أعطك أنا أي اهتمام مع أني تأكدت حينها أنك مكترث لأمري.. هنا أعطي تفسيرين أم أن هذه طبيعة لديك أو أنك كنت تبالي لأمري ولما قايضتك بالاهتمام تعمدت أن تقلع أنت عن ذلك.. رغم أنني كنتُ من الصعب أن أهتم، ومنذ تاريخ نيسان الماضي ليومي هذا كان لحكايتنا ملاذ.. وهو قلمي.

***

رسالة رقم 17

جبراني (القدر الحاضر الغائب عن كلماتي)

سلام على روحك الطيبة وبعد..

في كل مرة أقول سأنهي رسائلي ووداعاً وانتبه لنفسك جيداً أكون متعمده أن أوصل لك رسالة من كلماتي أن لا تذهب وأبقى حتى لو من بعيد، لا تغادر عالمي، ولا كلماتي فحروفي عطشى لتصطف جملةً تحكي عنك، فتفكرت لو كان بوسعك أن تخبرني فقط من أنا بالنسبةِ إليك، لكن لا جدوى..

أأخبرك شيئاً؟ أحلم بأن أراك وأنت تقرا رسائلي وأرى ردة فعلك حينما تعلم أنك المقصود، وأعلم أنك تعلم، رغم ذلك البعد المطوق بالجفاء إلا أنك ما زلت أمامي بكلمة واحدة تزعج روحي، وكنت ذلك الشخص الذي لطالما رسمتهُ في أحلامي وابتكرته في كلماتي، ولكنَّ لي سؤالاً أستأذنك بطرحه لديك وهو هذا: بماذا تريدني أن أخاطبك بعد الآن؟؟ بجبران بعزيزي بصديقي أم بلا شيء!! فأصبحتُ ضائعة بك وباسمك وبأي شيء يخصك.

فيوماً ما ستصل هذه الرسائل للعالم أجمع سيسألون عنك وعن تلك الشخصية التي أخاطبها، ستبقى سرياً للغاية لن أحدث أحداً عنك، ولا تسأل لماذا؟

أرغب بأن استميلك إلى عالمي وأدعك تتجول في أحلامي وتدخل مخيلتي لتحتسي كوب قهوة أعدتهُ يداي وأجالسك ونتحدث في حديث طويل عن حلمي بالسفر والعيش بمكان بعيد، عن خيالي الواسع عن قلمي وعن كل شيء..، أريدُ أن أحدثك عن جحور حياتي عن كل شيء عن أنني لم ولن أحب أحداً

غيرك، مهما قالوا أنني سأنسى فأنا أزداد إصراراً على أن أحبك أكثر..

وكل ما أشاء هو أن أشرب أخبارك باستمرار، فكم هو أمري بغريب!!

كن بخير لأجلي وألف تحية وسلام لروحك يا سيدي..

***

رسالة رقم 18

4 تشرين الأول 2014 هذه أول مرة أكتب تاريخ رسالتي،

جبراني..

كم أنا حمقاء كم أنا بلهاء، ربما أخطأت حينما بالفعل صارحتك بحبي لك، نعم لقد هفوت، لا أدري ماذا أفعل أأكمل رسائلي أم أنسحب منها، أو أمحي تلك الحروف أو أحرقها..ماذا أفعل بكلمات العشق المبجل التي وصفتك بها، وبحلم نسجتهُ بكَ وحققته في مخيلتي،ماذا أفعل؟؟؟ أبدأ بالندم أو البكاء أو الصمت أو ماذا؟؟

أنا الآن في حالة بؤس يرثى لها، في حالة غثيان لكلماتي تلك التي أرغب بتمزيقها ورميها في أبعد مكان، أو دفنها تحت حطام هذه الحرب.

صدقت حينما قلت أنهُ زمن خلت منهُ الرجال، زمن لا يشبه زمن الرسل والمستثنى من تلك الكلمات قلائل، صدقت حينما قلت لأصدقائي لن أحب فلا حب في هذا الزمان، ربما سيقول عني البعض مجرد خيبة جعلتها تحكم على الجميع، صدقاً لو أنها خيبة فقط لما صدرت مني كل تلك الكلمات، بل هي أعظم من ذلك، هي دمار لحلم بنيته منذ سنين.. وحطمه أحد لا يستحق حتى تلك الكلمات، أحد لا يستحق سوى الصمت فقط.

تمعنتُ بذاتي جيداً وسألتُ نفسي عدة أسئلة من هو؟؟ ولمَ هو؟؟ وما يميزه عن غيره؟؟، بدايةً وجدتُ عدة أجوبة تجعلني أصبو إليه وأجعله بقاموسي أنا من صنف من تميز بأخلاق أجدادي، بأخلاقي الرجال..لكن كما الصدفة تحضر لنا الهائل أيضاً الصدفة تفشي لنا العديد من الخفايا.

لا ألوم نفسي فمشاعري ليست ملك كفيَّ ولن أوبخ روحي أبداً، إلا أني تعلمتُ كيف لا أثق بأحد بسرعة. وكيف لا أحب بحماقة، تعلمتُ كيف لا أتسرع وأقول هنالك أحد بأخلاق أبي وأخي، تعلمتُ كيف يجب أن أطبق هذه الكلمات (كيف أحب الخالق وأنسى المخلوق، هذا ما يتوجب علي أن أفعله بعد الآن)، صدقني لم تكن خيبة ولا أي شيء ولم أشعر بالندم، فقط تعلمت الكثير، الآن أرغب بلقائك صدفةً، وأن أنظر إليك وكأني لم أعرفك يوماً وأكمل سيري نحو مستقبلي، الآن لا أرغب في تمزيق شيء من رسائلي، لا أرغب في الندم مطلقاً، لقد محيتك من ذاكراتي وحررت روحي من اسمك وقطعت كل صورك من مخيلتي، ونهيتك من حياتي ربما هذا لا يعني لك شيئاً، لكنه كان درساً رائعاً لي كي أتعلم كيف لا أحب أحداً فوق حدود الخيال فسأطعن في نفسي حتماً.

سلام على روحك.. سلام عليك يا جبران..

***

رسالة رقم19

جبراني (القدر الحاضر الغائب عن كلماتي..)

تارةً تجعلني أندم على معرفتي بك وتارةً تأخذني إلى أعمق الأحلام، يقتلني تقلب مزاجك الحاد، تغيرك المفاجئ، سطوتك كعاشق حيناً وعودتك للوراء حيناً آخر.

فماذا أفعل بفؤادي الذي شغف بك وتعلق بك رغم كل ذلك..

حينما راسل جبران مي كان هو في أمريكا وهي كانت في القاهرة أم نحن لا يبعدنا سوى بضعة كيلومترات، تفرقنا بها بسبب الحرب، فنحنُ من ذات المدينة وكنا نعيش تحت سماء واحدة فكيف لا نجد حفنة أمل تخلق لقاء.

أين السبيل من هذا الحب.. مع أنك تقرأ حروف رسائلي وتتمعن بكلماتها، وقد علمت بماهيتها، ورغم ذلك لا تخطو نحوي وتبقى جامدا.

بدأت أشك بذاتي وبأني بالفعل مي زيادة، من خلال ما قرأته لحدّ الآن من كتاب (الشعلة الزرقاء)، وفي لمحة من هي مي.. حينما كانت تعلق أملها بجبران رغم شغفها بأن تكون أسرة إلا أنها لم تخن حب جبران وماتت وحيدة، فإما هو وإمّا لا أحد!! لقد وجدتُ نفسي في تلك السطور، ربما أنت لا تشبهُ جبران مي لكنك جبراني أنا وهذا يكفي.

ربما أنا بعكس مي لم أرَ فيك ما أتوق إليه أو لم أجد بعد الحب لديك، ولم ترضِني حتى بأي شيء.. كانت أحاديثنا عادية جداً جداً، ربما أنا تلك الفتاة الغريبة بالفعل..كيف أعشق وأتعلق بدون شيء، سوى شغف عينيك لأن تلمح خيالي وخوفك على أن يصيبني مكروه من كلماتك، هذا ما وجدتهُ فيك للآن، وكتبتُ بك ولك رسائل.. فكيف إنْ حدثتني من جديد بعد غياب سبعة عشر يوماً.

سلام على روحك الطاهرة التي تسكن قلبي وتأبى الطلوع

***

رسالة رقم 20

جبراني (الحاضر الغائب عن كلماتي)

أليس الحب من الجمال.. والله يحبُ كل شيء جميل، ماذا أفعل؟ هل ارتكبت ذنباً أني أحببتك!! أم ماذا فأنا لا أنفك عن التفكير بك مطلقاً، رغم أنك لا تفكر بي مطلقاً، أو كما تقول أنت عني أني أنانية وأحكم عليك من وجهة نظري فقط ولا أشعر بك ولا بألمك ببعدك عني، تقول لي دائماً تظنين أنك فقط من يتألم، فقط من يلوع قلبه من الشوق، أنتِ أنانية، لكنني لستُ ملاك أنا بشر مثلي مثلك، تحكمني تصرفاتك الباردة وكلماتك القليلة فما ذنبي بحكمي ذلك.

ففي هذه الليلة، ليلة العاشر من شهر تشرين الثاني 2014 استيقظ لدي الحنين فجأة لكنّه حنين فارغ، وفي منتصف الليل كالعادة، لكن هذه المرة كان المطر بطل ليلتي رغم أنه كان كئيباً والجو في الخارج لم يكن بارداً، تذكرتُ جميع كلماتك وتذكرتُ جميع وإشاراتك، كل شيء، فخلقت في قلبي غصة لتلك الأيام، لا أدري كيف أستطيع أن أمحيها أو أن أركب قارب أحلام وأعود إليها وأنام، وبعدها لا أرغب في الاستيقاظ مجدداً، أنا الآن في حالة حنين تام، في ذكريات لا تنام، في قطرات مطر ترفض الاستسلام، فهل أتت إليك لتحدثك أنك أطلت الغياب؟ ألم تخبرك أن تطمئن روحي عنك، رغم

أنها قالت لي ستأتي إليّ ولن تطل الغياب، ربما قد أحبتك وستأخذه هي أيضاً مني، هنيئاً لك فقط أخذت روحي والآن قطرات المطر التي لا أرغب في الاستغناء عنها إلا أنها باتت ملكك الآن، ماذا دهاك يا هذا؟ يبدو أنَّ الكبرياء لديَّ قد مات وأشعر وكأنني سأحدثك الآن، لكن لا للاستسلام، لن أفعل ذلك أبداً.

أفتقدك يا جبران

***

رسالة رقم 21

جبراني (الحاضر الغائب عن كلماتي)

رجعتُ اليوم من مصر، عدتُ إلى حلب، مدينتنا، لطالما عندما كنتُ في القاهرة كان ينتابني شعور أنك بعيد، بعيد كثيراً، كنتُ أخاف أن لا ألتقيك، كنتُ أخاف أن أموت هناك ولا تأتي لزيارة قبري، قضيتُ أربعة شهور كأنها أربع سنين وربما أكثر، كنت رفيقي السري في رحلتي، كان خيالك لا يفارقني، كنتُ أغمض عينيَّ حتى أراك وأحدثك دون أن يشعر أحد من حولي بذلك، وعندما دخلتُ مدينة حلب عادت إليّ روحي التي كنت على وشك أن ترحل مني.

نسيتُ أن أخبرك أني ابتعت دمية أولاف شخصية من فيلم الانيميشن "Frozen" التي كنتُ أتضايق منها وكنتُ أشبهك بها كثيراً.

بدايةً كان اليوم كئيباً بدون سماع صوتك الذي اعتدت عليه، بدون ضحكتك، بدون نظراتك.. كان اليوم فارغاً.

رغم أنني في حلب، اختلقت أعذاراً وخلقت حججاً ووصفتك بأنك استهزأت بحبي، فقط كي أبتعد عن التفكير بك ولم أستطع، إياك والغرور، فالحبُّ يا سيدي ليس بيدِ أحد، ومصيري كان معك، وربما قدري هو أنت،

وربما أنا مخطئة، ما أتعسني من عاشقة حينما أترصد لباب منزلنا، فكلما كان يدق جرسه كنتُ أحسبه أنت، وكيف تأتي أنت؟؟

أصبحت أستمع للأغاني بشراهة وخاصةً تلك التي كنت تخصني بها، أستمع الآن لمدينة الحب للقيصر كاظم الساهر من قصائد نزار قباني، تلك الأغنية التي تنشل مني كل شيء، فكلماتها مؤلمة..

مدينة الحب أمشي في شوارعك

وأنا أرى الحب محمولاً بأكفانِ

صبوا العذاب كما شئتم على جسدي

فلا شهود على تعذيب سجاني

رجعت للدار أمشي فوق نيراني

كفاً لكفّ يقود خطاي حرماني

هل من مجيب؟ أنا في الباب منتظر

لا أحمل الورد أحمل طوق أحزاني...

حينما أسمع الأغاني التي تهدينه إياها أشعرُ بمدى الحب المخبّأ في صدرك لي، لكن حينما أرى ردود أفعالك لأشياء أختبر حبك بها، أبكي، نعم صدقني أبكي كثيراً والجأ لمقولتك الدائمة (ما باليدِ حيلة).

أحبك رغم كل العوائق التي بيننا..

***

رسالة رقم 22

جبراني (الحاضر الغائب عن كلماتي)

كنتُ أنتظر منك أي شيء، أي شيء.. كأغنية تخصني بها.. كسلام خفيّ..أو كرد حارّ بعد كل هذا البعد، إلى اليوم لا أعلم ما سر الحب.. لمّا يجعنا أوقات ضعفاء مجردين من كل شيء وتارةً أخرى يجعلنا في الجنة، وأنت تفتخر بكونك جالس مستمتع عندما تقرأ هذه الكلمات دون أن تصدر منك أي ردة فعل، فأنا أن حدثت الأبكم ولم يتكلم لا يحق لي أن أعاتبه ونفس الحالة تغدو معك فأنت أبكم وأصم وحتى أعمى فلا عتب عليك، لكن لن أسمح لنفسي أن تحدثك، ومهما تماديت بصمتك فأنا سأرد بكلام اقوى من خلال رسائلي ولن أتضرع لك كي تتكلم، فعملية نطقك صعبة جداً وربما مستحيلة، سأبقى أخاطبك برسائلي ولن أضجر من مراسلتك كل يوم حتى لو بالهواء فقط، فأنا كالطفل الصغير الذي يرغب أن يحصل على شيء فهو لا يكف عن البكاء حتى يحصل على ما يريد وهذا ما سأفعله، طبعاً لن أبكي، لكن سأتمسك بخيالك الموجود في حياتي و سأحصل على غايتي.

وستبقى أنت في وسط صمتك ويأسك، تصارع البعد بحجة (ما باليدِ حيلة)، وها أنا أصرّ عليك بعنادي وأرسل إليك المزيد من الخطاباتِ وأحنّ

إليك بصمت، قرأت مرة في كتاب طوق الياسمين لواسيني الأعرج عبارة أعجبتني:

"مشكلة الحب الكبير هو أن أصحابه يبدؤون بشكل جميل وينتهون في الفجيعة".

وأخاف أن تنتهي حكايتنا بفجيعة كما قال واسيني، أخاف يا جبران من فراق حقيقي، أخاف أن أكمل هذه الحياة بدون همسك الذي أعتدتُ عليه بدون صمتك وبدون الأمل بالعودة من جديد.

جبراني الحديدي ربما ستتساءل بينك وبين نفسك لمَ أنا متمسكة بك لهذه الدرجة رغم أنك سراب بالنسبةِ لي وستقول ايضاً ما هذا الحب الغريب، ربما..!!!

لن أجيب ولي كامل الحق أنْ لا أجيب ولن أقول لمَ!! فربما هذا حبٌّ مؤقت وتلك المشاعر وهمية وربما لأنني كاتبة قد تعمقت بهِ أكثر من اللازم، وربما لأنني أول مرة أشعر بهذا الشعور، لكن حتى ذلك الطفل ربما سيقبل بشيء غير الذي بكى من أجله، كل شيء وارد، لكن لا تستغرب أن يأتي يوم وتضيع أنت بين كلماتي في أرشيف حروفي، ويأتي من هو أحق بأن يمتلك قلبي، وفكرة أن أنساك ليست بمستحيلة، وقد تصبح كنسمةً عابرة في طريقي.، هذا أمرٌ وارد.

مرةً سألني أحد عنك، أحد مهتم لأمري وربما يحبني لّما أربط نفسي بأحد لا أعرف إنْ كان يفكر بي أصلاَ، وماذا بك حتى أكن لك كل هذا الحب، أجبته بلا شيء ويبدو أنّه بالفعل بلا شيء؟

وربما أقول كل هذا من داعي الكبرياء.. لا تصدق كلَّ ما يقال عن وجود شبيه لك، كلّهم عابرون وأنت من ستبقى حتى النهاية.

***

رسالة رقم 23

جبراني

الحاضر الغائب عن كلماتي

أرغب في البكاء حتى الضحك!! صدقاً هذا ما أرغب به، ينتابني شعور أحمق، شعور بألم غريب وكأن كل شيء توقف، وكأن الحياة أعلنت رضوخها لي، والموت بدأ بالتأهيل بي، أتمنى ذلك من أعماق قلبي..لا أخاف الموت، أخاف حياة خالية منك،. لأقلْ لك سراً بعد كل بعدٍ تصنعهُ، تأخذني مخيلتي لعدة أمكنة قد تجمعني بك، هذه المرة تخيلتُ نفسي واقفة على منصة وأقول هذه الكلمات: أهدي كتابي هذا إلى ملهمي إلى وقودي في هذه الحياة إلى جبراني، تخيل معي هذه اللحظة.. صدقني حينما خيّل لي ذلك كنتُ أبتسم ودموعي تكادُ تتساقط على وجنتي، سيتساءل الكثير ممن كانوا يتابعون سلسلة رسائلي لك التي لطالما كنتُ أنشره فقط لتقرأها أنت ولم يكن يهمني من سيقول أني بلا كبرياء أو أنني مخلوقة ضعيفة وما شابه ذلك، لماذا كل هذا الحب لك وهل يستحق ذلك؟؟ سيتساءلون كثيراً، لكن صدقاً لا يهم فأنا يا سادة أحب والحب أسمى من كل ذلك، ولا يهم لون أو شكل وحتى معتقدات من نحب، فكل شيء نستطيع أن نختاره إلا الحب فهو من

يختارنا..، قولوا كل ما تبتغون،فأنا لا اخضع لأقوالكم، وسأبقى أخاطبهُ، وسيبقى ملهمي مدى الحياة،ما يهمني فقط أنه يحبني وأعلم ذلك.

جبراني لأطلعك على سرّ آخر، لقد أستخرت الله بك ورأيت طريقنا معاً، وأنت يا سيدي دائماً تقول لي حبنا مستحيل وأقول أنا لك كيف تنسى أن الله على كل شيء قدير، ما من مستحيل فمن كان قادراً على إغاثة سيدنا إبراهيم من نار لم تحرقه ومن سكين لم تقتل سيدنا إسماعيل وبحر لم يغرق سيدنا موسى وحوت لم يأكل سيدنا يونس هو بقادر على جبر قلوبنا، وأنا يا سيدي لا أريد منك شيئاً، أنا طلبتك من الله وإن كنت لي منحني اللهُ ما طلبت وإن لم تكن فلا اعتراض على مشيئته وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم.

أحبك بالله..

***

رسالة رقم 24

جبراني (الحاضر الغائب عن كلماتي)

لم نقتنع بالفراق، أو لمسمى آخر بالغياب، فقلت لك تعال لنعود أصدقاء أو نسمي علاقتنا أي شيء، المهم أن نحلّل أحاديثنا كل يوم وأن نبقى في أعماقنا نحبّ بصمت، لكني أمسيت ضائعة ودخلتُ في دوامة حبك أكثر، وتلك الذريعة جعلتك على يقين تام أنني مهما حدث سأعود وستجدني أرجع إليك بحب أكبر وأكبر، لكن يا سيدي جفاء البُعد قد يغير، وقلة الاهتمام قد تأخذ كلّ الحب الذي في قلبي، ففي طريقك لا تنسَ قلباً أحبك، وفي غيابك فكّر بي كثيراً وفيما سيفعل بي البعد أيضاً، وأعود إلى ذريعة (ما باليدّ حيلة) وأقول ما ذنبك أنت الآخر، إن حكمت الظروف على قصتنا أن تموت ألف مرة وتعاني كل أنواع العذاب وتعيش بعد فقدان الأمل بالحياة لأنني دائماً واثقة بأنها ستعيش يوماً ما للأبد.

جبران يا سيد قلبي وأشعاري كن بخير لأجلي..

***

رسالة رقم 25

جبراني (الحاضر الغائب عن كلماتي)

ما أعذب صوتك.. هل تذكر ذلك اليوم الذي تراهنا به على مباراة وحينها أنت أصريت أنْ فريقك من سيفوز، لكن الحظ حالفني وربح فريقي الذي لا أعرف عنه شيئاً، المهم حينها طلبتُ منك أن تسجل لي صوتك، بدايةً تمنعت، كنت لا تحب تسجيل صوتك لأحد وحتى أنا، لكن استطعت أن أجعلك تسجله لي، أتعرف أن صوتك حينها أثملني، أتصدق؟؟

كررتُ الاستماع للتسجيل ألف مرة وأنا في غيبوبة صدقني.

لستُ أدري ماذا أريد ولمَ ذكراك ترافقني أينما ذهبت، فكل الطرق تأخذني إليك، ولمَ حتى البعد زادني عشقاً بدل من أن يعلمني الجفاء.

ما زلت حبيسة هواك ولا أرغب بأحد سواك، مع أنك عادي جداً جداً، لستُ أدري لماذا أستمر في هذا الحب الخيالي، كفى بربي كفى أحادث نفسي هنا، ماذا دهاني ولمَ هذا التغيير؟، يبدو بالفعل قد أصبتُ بالجنون، فلتغتر فأنا سأبقى أناديك بالحبيب وستبقى أميراً على بني آدم ولن أندم بأني وصفتك بالخليل، يتهمني البعض بأني خيالية لأبعد الحدود وأن وجود شخص أقدسه بكلماتي لهو من مرض أو من ضعف في ذاتي، لكن لمَ يقولون ذلك؟؟ إن

كانت كلمة الحب هي ما يجمعنا، لِم لا أقدسك وأجعلك سيدي وأزداد بحبك يوماً بعد يوم.

***

رسالة رقم 26

جبراني الحديدي (الحاضر الغائب عن كلماتي)

سلام على قلبك الأبكم..وبعد:

في رسالتي الماضية حدثتك أنني لن أتنازل عنك أو سأصل إليك يوماً ما، وربما أيضاً ستمسي مجرد نسمة عابرة، لا أعلم يا جبران أي نوع من أنواع الحب هذا الذي أكنهُ لكَ، أخافُ أن يكون مجرد حالة استمتعت بها بصفتي كاتبة، أخاف أن أحمل مشاعر مزيفة، أو أن أكون مخطئة باختياري، صدقني يا جبران الحب قدر لكن البقاء به اختيار، أظن أنها كانت حالة، مجرد حالة مؤقتة تمتعت بكتابة تفاصيلها على شكل رسائل، فغيابك جعلني أتعمق بتلك الحالة أكثر وعدم رؤيتي لك جعلني أحسم أمري وأمر حيرتي التي قد طالت أكثر من المفروض.

جبران.. فبين حافات الأمس واليوم تيقنتُ أنهُ لم يكن حباً، كانت مجرد ظرف عابر، فالحب يا سيدي لا يخلق على أساس فراغ، وكل ما توصلتُ إليه من أجوبة لأسئلة عديدة أنك كنت عابر سبيل دخل حياتي في مرحلة كنتُ أتوق بها لأن أجرب شعور الحب من كثرة ما سمعتُ عنه فأنا لم يمسني ذلك الشعور يوماً، ولأني معروفة بين قرائي كم أنا مناصرة لحواء وبعيدة عن ذلك

الذي يسمى آدم، أما أنت فقط كنتُ ضحية حالة سراب تعلمت منها أن لا وجود لشيء يدعى حبّاً، ما توصلتُ إليه أيضاً أنك لست ذلك الذي أحلم به لست آدم المثالي، لست ذلك الرجل الذي خلت الحياة منه، لذلك كما تمنيت لي السعادة والتوفيق فأنا أتمنى لك حياة سعيدة كما ترغب، حياة تشبهك أنت، لأنك شخص جيد رغم أنك من أولئك الذين يحرمون أشياء على الناس ويستبيحونها لأنفسهم. هذه الصفة رأيتها أنا بك من خلال بعض تصرفاتك وليس بالضروري أن أكون على حق، لا أقول هذه الكلمات نتيجة صمتك الشحيم لا، بل لأنني يجب أن أحسم حيرتي، ولأني أخيراً توصلتُ لأجوبة مناسبة لأسئلتي، ستبقى جبران بطل رسائلي التي ستنشر يوماً ما وستصل للعالم أجمع، لكن ستكون مجرد ذكرى وليس كما كنت أظن أنك ستكون حاضري.. سأشتاق لذكراك ليس أكثر وسأدعو لك بالخير، لستُ نادمة لأني أفصحت عن حبي لك، لكني نادمة لأني تسرعت وقلتُ أني أحبك ووجدتُ نفسي بعد ذلك أنه كان ملء فراغ لا أكثر، فأنا هنا أعتذر لأني كنتُ سأطيح روحي وروحك بالمتاعب، تعلمت أن أتريث وأتأكد من مشاعري قبل أن أفصح عنها، تعلمت أن أكون أكثر حكمة كما قلت لي يوماً ما.. تعلمت الصمت، انتبه لنفسك وأتمنى لك حياة سعيدة بصحة جيدة وبراحة البال.

انتظر مني المزيد، فأنا أكثر إنسانة متقلبة المشاعر وجدت على سطح هذه الأرض.

***

رسالة رقم 27

بعد مضي فترة وجيزة على عدم كتابتي أي رسالة.. كتبتُ لكَ هذه:

جبراني..

وأشتاق لهُ، حتى في حضوره يكون الشوق حاضراً، أغار من أخته ومن أمه وأبيه، من دفتره من أصدقائه وحتى من كوب القهوة الذي تلامسهُ أصابعهُ، أغار من

قميصه ومن مفتاح منزله من كل ما تلمسهُ يداه، ويقتلني بعد كل ذلك الحنين لرؤياه.

أنا لا أحتاج نصائح من أحد ولا يعنيني من يقول إننا يجب ألا نبالغ بمشاعرنا وألا نمنح الطرف الآخر كل ما لدينا من أحاسيس فهو حتماً سيتدلل.

ما يدهشني حقاً هو التناقض الذي أنا عليه، لا أدري لمَ أحببته ولا أدري هل يستحق كل ذلك الحب؟

يقال من الحبِ ما قتل، أؤمن بهذه العبارة كثيراً.

لقد كنتُ حريصة أن أخفيك عن الجميع، أنْ لا أخبر أحداً عنك كما كانت ميّ تماماً، سراً يسعدني كثيراً ولا يدري من حولي ما سرّ سعادتي، حتى

لو أنني راسلتك على مدى طويل برسائلي هذه التي كنتُ أنشرها على صفحتي وكان يقرأها مئات الناس، لكن لم يكن يعرف أحد من هو جبران ولا حتى الآن لم يعرفوا من هو، وحدك أنت الذي سيقرأ وسيفهم كلّ هذه الكلمات لمن هي موجهه، حتى يأتي اليوم الذي سينشر فيه كتابي هذا (ربما سأكون معك حينما تقرأه وربما أكون في عالم بعيد عنك، لكن كما وعدتك لوحدي في مكان ما).

***

وفي عودة أخرى لرسائل جبران.. أردتُ كتابة بضعِ كلمات له.. ربما تكون آخر كلمات أكتبها وربما تكون بداية بزوغ كاتبة جديدة في هذا العالم..

جبران..

رسالة بدون رقم

جبراني لربما قد بالغت في العشقِ حينما أردتك مرآة لي حينما أردتُ أن نكون 1+1= واحد.. بالغت في محبتك.. فجعلتك قديس كلماتي وسيد أشعاري، ومحوت جميع الذكور من أمامي رغم أن قد جاءني أكثر من عاشق لروحي وبدرجةِ حبي لك، لكن رفضت حتى الحديث معهم وأسميت مجرد الرد عليهم ولو بكلمة (لا) خيانة لك، قاومت كل الظروف ورغم أن النهاية مجهولة تمسكتُ بك أكثر وجعلتك موطني الذي لن أتغرب عنه مهما حصل، وفي حين رأيت نفسي ضعيفة بلا مأوى، ورغم كلمات العشق القليلة التي كنت تقولها لي، كنت أقبلُ شاشة هاتفي في كل مرة أقرأها حتى حفظتها وكأنني سأقدم على امتحان بها، ربما أنا مجنونة وربما أنا عاشقة. ولأني كاتبة فعشقُ الكُتاب مختلف، في كل مرة أسأل أحداً عن الحب كان يعرفه لي على أنه كل شيء جميل وكل شيء مؤلم وبالنهاية هو كل ما في الوجود، فأردتُ أن أعرف ما هذا الذي يدعى الحب بك ومن خلالك.. أردتُ فقط زرع الابتسامة على وجهك وأن أكون نافذة أمل لك..، أردت فقط ذلك، فعاقبتني بالبعد رغم أنك على حق، ولكن لا تلُمْ قلب عاشقة إن لم تنمْ إذا لم تحدثها، ولكن ضع في عقلك هذا الكلام تلك العاشقة لا تطلب شغفك شفقة، إياك أقسم ستحرق الأرض حولك إنْ شعرت أن ذلك يحدث. قل لها

أنا لا أحبكِ وينتهي الأمر لديها ولا تبقَ معها لمجرد الرحمة لروحها خوفاً من أن تفعل بها شيئاً.. هنا لا تقلق على روحي فصدقني أهون على نفسي أن لا تحبني من محبةً زائفة، اسمعني جيداً واسأل نفسك إنْ كنت لا تحبني فقل لي فأنا لا أقبل شفقة من أحد من أي أحد.

***

رسالة استثنائية.. بدون رقم

إلى قرائي

كنتُ أنوي أن أكتب إلى جبراني، لكن شيئاً ما جعلني أغير اسم المرسل إليه لتكونوا أنتم أعزائي القراء:

ما أغرب الحب أو ما أغربنا نحن..

أحبُّ العنصر الشفاف الموجود في كلمة الحب، هو ما يدعني أصبر على هذه الحياة، وتروق لي العفوية والميول للشغف به، في سلسلة رسائلي تعرضتُ لمواقف غريبة أو ربما طريفة، من أغربها، أن هنالك أكثر من شخص أعرفهم كانوا يظنون أنفسهم جبراني وأني أخاطبهم برسائلي، لدرجة أن أحدهم حاول أن يبادر لي بمشاعره، وأنه يبادلني ذات المشاعر، هذه هي العفوية بالحب، لم يكن مهمّاً ردي عليه، المهم أن جبراني كائن خيالي، لا أظن أني سأعثر عليه ولا أظن أنهُ موجود أصلاً، وحتى لو كنتُ سابقاً أخاطب شخصاً حقيقيّاً، لكنهُ لم يكن جبراني، ربما لهُ اسمٌ آخر أو ما شابه ذلك، هذا وأنا أعتقدُ أنهُ الآن يقرأ ويستغرب من كلماتي تلك، فحينما كنتُ صغيرة كنتُ أتوق لأن أعيش قصة حب ودائماً كنتُ أقول أتمنى لو ألتقي بفارس أحلامي وحتى لو كلّف ذلك ثمن حياتي، ولو كانت تلك القصة لا

تعرف سوى العذاب وشاء ربي أنْ يحقّق لي تلك الأمنية، لم أكن أعلم نتائج أمنيتي وماذا فعلت بنفسي، الآن أتمنى أن يعود بي الزمن، لأتمنى تلك الأمنية مرةً أخرى،.

قرائي الأعزاء..

قصص الحب كثيرة، ومختلفة، حينما نفكر بمحادثة من نحب، يخطر في رأسنا ألف وألف سؤال، وعندما نبدأ بالكلام يضيع كل شيء وننسى من نحن، تلك هي اللهفة التي لا تجدها إلا في الحب، أمّا الجفاء والبرود في الحب، فيجعلنا أكبر سناً ونضيع في سراديب ذلك الحب، لربما حينها سيحلو لنا الفراق على أن تقابل من تحب ببرود، متجاهلاً لهفة قد تخلق ابتسامة طويلة الأمد على وجه الحبيب، هنالك من تعنيه كلماتي ومنهم لا يفهمها ومنهم يحبونها والبعض الآخر فقط يقرأ وهو ممّنْ يقرأ فقط.

***

رسالة رقم 28

جبراني (الحاضر الغائب عن كلماتي)

هل يتوقف العصفور عن الزقزقة والورود عن الإزهار والشمس عن الشروق، هل تصبح القهوة بلا رائحة وفيروز كأنها ضجيج سيارات.. نعم يحصل كل ذلك حينما يغيب هو؟؟؟

يظن أنني بسهولة قد أنساه وأنسى كل أشيائه، أنسى عينيه وأنسى ابتسامته، وكأن باستطاعتي أن أعيش في روح غيره، كيف أترك كل شيء وأنسى، معلقة أنا يا سيدي بهواك، فما زالت أتكئ على عكازة شوقي إليك، كيف أستطيع التخلي عن جهاز الإنعاش الذي أتنفس من خلاله، كيف؟؟

يزعجني افتعالك لأكاذيب لا تصدق، فقط كي تضع حدّا لاستمرار آمالنا، تحاول أن تبعدني عنك وأرى حنينك إليّ يقتلك، ماذا يحصل وأي ذنب اقترفناه حتى نعاقب بهذه الطريقة.

لكن لمَ لا نقول إنهُ امتحان من الله كي نتقرب منهُ أكثر ونلجأ إليه في دعائنا له أن يقربنا ويجمعنا في نهاية هذا العذاب، لمَ أطلقت على عذابنا بأنهُ ذنب قد فعلتهُ أنت والآن يعاقبك الله عليه ببعدك عني به، أريد أن أفكر

بإيجابية، أريدُ أن أستمر بحياكة أحلامي معك وأن أكتبها حتى يحين وقت تحقيقها.

وسأكتب لك المزيد من الرسائل...

***

رسالة رقم 29

عزيزي السيد جبران

لقد انصرفت فترة وجيزة عن التفكير بك بشكل منفرد، لأنني لا أستطيع أن لا أفكر بك، وبدأت بإعداد كتاب يجمع رسائلي إليك، التي منها ما وصلك ومنها ما ستقرأه في هذا الكتاب، لأنني لم أرسلها إليك من قبل.

ما زالت مصرة على الأمل بلقائنا، الذي بات قريباً ووشيكاً للغاية، أقل من سنة ستجمعني بك بإذن الله، لا أريد أن أفسد فرحتي بذلك اللقاء بأفكار غير مرغوب بها، لا أريد ان أتألم الآن من توقعات ربما لن تحدث، سأتنبأ بلقاء مميز كما أرسمه في مخيلتي يبدأ في عناق وينتهي بيدين مشدودتين يصعب تفككهم، فكيف أسمح لنفسي بلقاء غير ذلك؟

كيف أحول عيني عنك وأحجب النجوم من السماء، فيكفينا يا جبراني ما كابدناه من الغياب والشوق الطويل، ألا نستحق أن يجمعنا ذلك اللقاء!! ما أجمل التفكر بك والإسهاب بذلك الخيال.

سلاماً على روحك الجميلة سيدة الإلهام

***

رسالة رقم 30

جبران يا عزيزي..

لا أستطيع أن أنهي تلك الرسائل، ولا أستطيع الكلام أكثر، أي قصة حب هذه التي وقعتُ بها، أي نصف حب هذا الذي قبلت به، هذا الذي لا مخرج منه، وأي رسائل هذه التي تشبه الأماني الطريحة في زجاجات متعددة ومقذوفة في البحر أما إنها لم تكن رسائل بل مقطوعات موسيقية يعزفها قلبي وتغنيها روحي.

جبران.. النصف لا ينصف يا جبران، لا يسعد ولا يحزن، يتركك على أوتار الحيرة، يشعل ثورة بداخلك، فنصف حب كذب ونصف نهاية خداع ونصف فراق يقتل ونصف حضور يبعثر، النصف لا ينصف يا صديقي، إمّا حضور كامل أو غياب بلا عودة حتى ولو كان غياباً قاتلاً، فالقتل مفيد أحياناً ولو كان موتاً حتمياً، بينما النصف من ذلك الغياب يشبهُ أمل الشفاء من علّة السرطان، وأنا لا أحبذُ الأمل التائه، فهو يقهرني، هل سمعت بأمل يقهر، نعم هو نصف الأمل الذي زرعته بي على رجاء أن تسقيه لينمو، هو ذاتهُ أملي بأن تقول لي أحبك بلا معاناة الرجاء في كل مرة لأن تقولها، وهو نفس الأمل أن تذهب بلا عودة، أو أن تبقى بلا رحيل، هو أمل جبار، يؤذي أكثر من أن يشفي تلك الثقوب التقليدية في القلب، فيضعف الدقات التي لم

تعد كالسابق، النصف من أي شيء لا ينصف أيها الحبيب، والمشكلة يا سيدي أني مصلوبة بالنصف فبتُ أفزع من قهرك لي وأهدد بالرحيل لكن بلا رغبة بذلك، وأعود كما كل مرة ضعيفة مهزوزة وربما أيضاً أكون بلهاء، لكني أعود لأقول لك أحبك وكأنك أبي وأمي.

***

رسالة رقم 31

جبران يا قدري الحاضر الغائب عن كلماتي

رأيت البارحة حلماً رائعاً، رأيت وجهك الذي أحفظهُ ربما أكثر منك، كنت مبتسماً وكنت سعيداً، عوضني هذا الحلم عن غيابك عني، بعدك المتعمد، بحجة (ما باليدِ حيلة).

حتى لو كانت محادثتنا الأخيرة مؤلمة والحديث بها أشبه بوباء تسرب للجسد واستقر به، لكني قلت لك لا أضع عليك اللوم، وصدقني يكفيني أنك تحبني وأعلم ذلك.

جبراني، تستهويني تلك الأيام التي كنا نتسامر بها من منتصف الليل حتى الصباح، كنت حينها في أبهى شروق لك، كنت في الليل مكان القمر وفي النهار تشرق كالشمس، كنا نتحدث لساعات دون ملل، رغم أنني أنا من كان الذي يتحدث أكثر، فأجوبتك رغم أنها كانت مختصرة وصغيرة إلا أنني الآن أفتقدها، أفتقدها بشدة.

أتذكر يا جبران كم كنتُ ألح عليك بأن أسمع صوتك، وكنت تأبى، بحجة أنك لا تحب صوتك، وماذا عن أولاف أتذكره كم كنت تكره هذا المخلوق، وكنتُ أشبهك به دائماً، حتى تلفيقك للغباء مراتٍ، أفتقدهُ!.

أفتقدُ لأصغر التفاصيل، لكوب شاي، لبرد يديك، للجاجتي في السؤال عن أشياء سخيفة وكنت تأبى أن تلبي لي تلك الأشياء، أشتاقُ لكل شيء يبدأ منك وينتهي بك.

***

رسالة رقم 32

جبران يا شوقي المتعال..

طال هذه المرة غيابك، طال اختيارك لهذا البعد أكثر من المعتاد، أصبو إليك أكثر وصدق نزار قباني حينما قال إن لم يزدك البعدُ حباً فأنت لم تحب حقاً، قد زادني هذا البعد هياماً وصبابة، وحتى إلهاماً، كيف تطلب من شاعرة وكاتبة أن تنسى؟؟ وهي من أحاديثك تحيك كتباً وقصائدَ ولو كانت في المنفى.

فما أشهاها من كلمات تلك التي وصفتها أنا بأنها عادية، قد كانت كبَردى تتدفق من أعالي وطني وتصبُ في قلبي أبهى المعاني، أفتقدُ لحديثي الطويل معك، لكلمات بلا معنى نكتبها تجنباً للملل، افتقدُ لرموز لا توحي لشيء، أيها القريب البعيد كيف أصبو صبابة من صبا وأنا في قرينةِ الصبابة قد أنجبتُ صبياً.

إنَّ يوماً يرنُ بهِ هاتفي معلناً صوت نغمتك تلك يكون من أروع أيامي كأول أيام العيد، كيوم إعلان السلام في موطني، كالمطر بعد موجة حرٍ شديد، يوماً أتنحى بهِ عن العالم وأختلي، بهاتفي أتفكر بما ستحدثني، لكن

الآن كيف يعيش من في الضريح وكيف يهطل المطر في تموز وكيف يأتي العيد بلا صيام.

كن بخير..

***

لا أدري بأي حب ابتليت، وهل أستحق ما أنا عليه، فماذا فعلت حتى ألقى منهُ كل هذا، أكان ذنبي أنني فقط أحببت!! ولا أدري لمَ ألقي عليه اللوم فما ذنبهُ هو إنْ كان قدراً أن نُعذب.

لقد انتشل مني كل شيء، حتى كرامتي أخذها بدون رحمة، وسرق ضحكتي وفتك بقلبي، ذلك القدر.

***

رسالة رقم 33

مرحباً..

كيف حالك؟ وما هي أخبارك التي أتوق لمعرفتها، هذه المرة يبدو أن عقلك قد انتصر على قلبك، لقد مرّ شهر على عدم محادثتك لي، بالرغم من أنني حدثتك ولكني لم أجد أي رد منك، كان هذا الشهر طويلاً، بدايةً كان أشبه بحرقة الروح على مهل، هذا الشهر كان فارغاً، خالياً من كلّ شيء، ينقصه أنت فيكتمل به كل شيء، ما أغرب سكوتك يا عزيزي، ألا تذكر عهدنا أن نبقى معاً طيلة هذه الحياة إلا إذا فرقنا القدر؟ نعم قلنا لن نفترق حتى يقرر ذلك القدر، لم أكن آبه لذلك القدر، قد كنتُ أريدُ التمتع بلحظات إضافية برفقتك، بوجودك، لمَ الغياب يا جبران، ولمَ قدرنا هكذا؟ وكيف تنسى يوم عهدنا ذلك؟ أه يا سيدي كم أتوق إليك ولكلماتك ولكل شيء فيك، أشتاق إليك كثيراً.

ألن يحين وقت اتحاد الصلح مع السلام، لقد كان هذا الشهر بمثابة ألف سنة وربما دهرا كاملاً..

***

رسالة رقم 34

عزيزي جبران..

ربّما قد تُفاجئك رسالتي هذه، مع أنهُ يجب أن لا تتفاجأ، فهذه عادتي، لا أدري لماذا أصرُّ على الاحتفاظ بك والعودة إليك بعد كل خيبة، أستغرب نفسي كثيراً، كيف أعود لمن قال لي، لم يعد داعٍ لأحاديثنا، حديثكِ يقلق راحتي، أعود لأني لا أصدق هذه الكلمات ممن عشقني، أعود لأني أعلم أنك كنت حينها تكذب، صدقني لم أحزن حينها، لأني متيقنة أنها تلك الحروف ما كانت تقصدُ أن تخرج من فمك، فأنا مثلك قادرة على تحليل كلماتك وتصرفاتك وكل ما فيك، إلا صمتك، صمتك الشاحب، كنتُ أشعر بك وأشعر لتوقك بأن تحدثني، مع أنك من اختار الفراق، وشعرت بخوفك من خسارتي أو من أن يحدث الشيء الذي تخاف منهُ، كنتُ أشعر بكل شيء يحدث معك، ورغم كلّ محاولاتي لفكّ شيفرة صمتك وتعمدك للصمت، كنتُ أعود إليك وما أجمل العودة إليك..

في رسالة ماضية أرسلتها لك، عندما لم تجب بشيء، عندما تجمدت أطراف يديك، لم تكن تدرك معنى أن تزرع خيبة بعد غياب طويل، خيبة أثرت بي بشكل كامل، ومع ذلك أعود إليك من خلال رسالتي هذه، لم أعدْ اهتم للكرامة، ولا تفعلي هذا؟؟ فهو لا يستحق، لك هو حتماً يستحق، وفي

الحب لا وجود للكرامة، لكنني أؤمن وبشدة بعبارة تقول أن الرجل ما أن تأكد من حب المرأة لهُ حتى بدأ يتلذذ بتعذيبها، لأنهُ مدرك تماماً أنها مهما حصل ستعود إليه ومهما ابتعد عنها ستبقى بانتظاره.

لكن ما المشكلة أن أحب أحداً بصدق؟ ما الذنب الذي يقترفه المحبّ إنْ أعطى بدون مقابل؟ وما الضير إنْ حافظ على من يحب على حساب كرامته؟؟ قلْ لي بربك ما الخطأ في ذلك؟

سأغير من مفهوم العالم للحب في كتاباتي، أعدُك بذلك.

أعلم أنك تبتعد لأجلي ومن أجلي، كي تجن أن أتألم ولا تعرف أنَّ بعدَك يؤلمني أكثر، أشتاق إليك بشدة وأصبو للحديث معك دائماً، لكنك تتعمد الصمت ولا تريح قلبي بأي كلمة، في رسالة أرسلها جبران لمي زيادة يتحدث بها عن صمتها، وهذا ما جاء بنص الرسالة:

نيويورك 2 تشرين الثاني 1924

يا ماري – أنتِ تعرفين سبب سكوتكِ أما أنا فأجهله. وليس من العدالة أن يكون جهل المرء مصدراً لتشويش أيامه ولياليه.

الأعمال والأقوال بالنيات، ولقد كانت نيّتي ولم تزل في راحة الله.

أخبريني يا صغيرتي المحبوبة عما حدث لك أثناء العام الغابر. أخبريني واكسبي أجري.

جبران

وكأن التاريخ يعيد نفسه، وليس من العدالة أن يكون جهل المرء مصدراً لتشويش أيامه ولياليه!!

لم تكن طريقتك في الفراق جيدة ولم أستحق منك ذلك، ولم تكن تناسب أحداً مثلي!! كان يجب أن تكون ألطف من ذلك، كان يجب أن تحدثني عن ما في داخلك لأني أستحق منك ذلك، ربما أنت الآن لم تعد تفكر بي، أو ربما قد نسيتني، مع أني أشك أن فتاةً مثلي قد تُنسى بسهولة، ولكن لم يعد هنالك مشكلة مشتركة، فالمشكلة باتت تخصني وحدي، ربما أنت استطعت أن تتخلص من التعلق بي، لكني ما زالت متيمة بك.

أستغرب من نفسي، يا رجلاً ترمي بي من النافذة، فأظهر لك من الباب، بربك هل هذا طبيعي، ما زلت أحبك وما زلت أكذب بأنني لم أعد أرغب بك، غيابك يزيد الألم وزيادة الألم تعني زيادة الإبداع، فهل أحتفظ بالإبداع على حساب غيابك؟

فبالفعل تغير مسار قلمي كثيراً وأصبحتُ أكتب بطريقة أفضل بكثير عما كنتُ عليه سابقاً.

لطالما تشوقت لأن تكون رسائلي هذه ورقية وليست إلكترونية، لطالما تلهفت لأن تحمل عطري وخط يدي، كي تؤثر بك أكثر، كي تؤثر بك تلك الأشياء ضعف ما تؤثر بكَ الكلمات، لكن ما باليدِ حيلة.، ستصمت ولن

تبادر بشيء، سأندم، سأحزن على نفسي قليلاً، لكني قد أفرغتُ ما في قلبي وهذا هو الجانب المهم لديّ.

أشتاقُ إليك كثيراً

***

رسالة رقم35

جبران يا خليلي..!

أنا تائهة..في وسط دوامة حرب عالمية ثالثة تحدث في أحشائي، قد لا تدركون ما يحدث بداخلي من مناوشات وانتفاضات، لا أحد مثله، مع أنه لا شيء يميزه، لا أفهم كيف تمضي الحياة بلا حروفه، تجولتُ اليوم في مخيلتي في كل الأحلام التي كنتُ أحبكها معك، بدت مختلفة هذه المرة، لا أعلم ماذا أريد منك وكيف لا تغتال برودتك مشاعري، وكيف لا أنتهي منك..

يظنُ هو أن لا أمل من حكاية كتبت نهايتها منذُ البداية، يقول دائماً يجب أن لا نستمر حتى لا نتألم أكثر، أتفق معه تماماً لكن هذا القلب يأبى أن يتفق مع كلامه، حبيبي ريفي كطعم القهوة على وقعِ صوتِ حفيف الأشجار، كنسمة هواء في منتصف تموز، يسكن زعق المطر ويخاف القلب من غيابه، يشبهُ الأطفال، ابتسامته كقطعة حلوى بطعم الفانيليا، يتناول كل أنواع اللحم ويدعي بأنهُ نباتي، مدمن على الأغاني الطربية من العصر القديم يعشق فك شيفرة المفردات المعقدة، يحبُ الشعر، أنيق في الحب، جميل حينما يبوح بكلمات الغزل القليلة، يريد الخير لي، يرغبُ في أن لا أتألم، هادئ ويبعثرني هدوؤه، رحلتُ عنهُ ألف مرة وعدتُ إليه ألفاً أخرى، فاعتاد هو الصمت، لأن ليس باليدِ حيلة.

لا أدري إن كانت هنالك رسائل أخرى!!؟

***

هل يا ترى قد انتهت تلك الرسائل، أم سيكون هنالك المزيد؟!

حقاً لا أدري، أتوق لكي أنهيها وأن تأتي لتسكن بقربي، فأحدثك بها بهمسي، أتوق لوجودك الدائم بقربي، وللتخلص من عقدة الخوف من فقدانك، أتوق لكي تكون لي ولكي يكون اسمي يعانق اسمك.. هل يا ترى قد يموت هذا الحب أم سيعيش أكثر من عمرنا نحنُ الاثنين؟

أشعر أن للرسائل لعنة، تقتص منا كل شيء، فما نكتبهُ ضعف ما نستطيع قوله، تختلف الرسائل كثيراً عن الواقع، في اللقاء تتحادث أجسادنا، عيوننا وكل شيء بنا، إلا فمنا يبقى مغلقاً لأطول فترة ممكنة، فبالرسائل تكون مشاعرنا أصدق من أن ننطق كلمة أحبك بثغرنا.

الرسائل كانت وسيلتي في اللجوء إلى قلبك والتقرب منك ومحاولةً أن أعرف إنْ كنت تشاركني ذات المشاعر، كانت غايتي أن أجعلك تصبو إلي أكثر، في كل مرة أكتب بها رسالة إليك، كنت أشاهد ترقبك للرسالة التالية، لأن تفك لغزاً آخرَ من ألغازي، وكنتُ أعشق أن أشتتك وأدخلك في دوامات لا سبيل للخروج منها، لأني أحبك، أردتُ قصة مختلفة، قصة سيقرأها الكثير، سيتمنى الكثير أن يعيش كهذه القصة، كما تمنيت أنا أن أحظى بعنترة أو بجميل أو بجبران.. لكني حظيتُ بمن هو أروع منهم، حظيتُ بكَ.

لطالما آذيتَ قلبي وشتت روحي في بعدك الذي لم يكن بيدك، لطالما جرحني الشوق وكظمت ذلك في قلبي، وكان الصبر يأتيني على هيئة رسائل إلهية، (الدعاء يغير القدر)، (حسن الظن بالله)، (وأفوض أمري إلى الله)، نعم كانت تلك جرعات الصبر التي أذهب إليها في كل مرة تبتعد بها عني، أتلو القرآن، أدعو، أصلي، أقرأ التسابيح، أحاول جاهدة بالانشغال عن الأفكار السوداوية بذلك، فحتى فكرة الفراق لم ترحل من عقلي إلا بذلك، عرفتُ السر الذي سيأخذني إليك فانتهزته، أحببتك فقربتني من الله، فكم هذا الحب عظيم.

هل العشق يصلنا بالله أكثر، هل يعلمنا كيف تكون الحياة بالشكل الصحيح؟ هذا الحب غيرني كثيراً، قربني لله كثيراً، باتت صلاتي مختلفة وأصبحت ألحّ بالدعاء بلقائك أكثر، وأحببتك أكثر، ما سر العشق أو ما سر عشقك أنت؟

الكثير كان يشتكي من الحب والغرام والوله بالمخلوق والتجرد عن سر الوجود، لكن حبك أنت علمني لمَ أنا موجودة، قربني من إلهي كثيراً، وجعل حياتي أفضل، فكانت فلسفة حبك مختلفة، حتى لو كانت مؤلمة ومعقدة، إلا أنها كانت الطريق نحو الحب الحقيقي، فالحب الذي يصحبهُ آلم، يأخذنا إلى المكان الصحيح. فهل كل ما نريده نحصل عليه بسهولة؟ لا.. لأن كل شيء لهُ ثمن، وكان ثمن حبك أجمل وأروع قدر، ثمنهُ تقربي إلى الله أكثر، وتفهمي لمعنى الحياة بصورة أجمل، فقل لي فكيف لا أحبك أكثر وأكثر؟

وكم لله من لطفٍ خفي

يَدِقّ خَفاهُ عن فهم الذكيّ

وكم يُسرٍ أتى من بعد عُسرٍ

ففَرجَ كُربة القلب الشجِيّ

أحبُ هذه الكلمات.. تريح قلبي وتهدئ شوقي وتخمد شجني.

علمتني تلك الكلمات كيف أنتظرُ بالصبر بالإيمان، بحسن الظن بالله، بكثرة الصلاة والإلحاح بالدعاء، تلك القواعد التي أكسبتني إياك، ووهبتني حبك وأعطتني أملاً بأن يجمعني الله بك.

تعلمت أن ليس بيد البشر أن يفرقوا بين الأحباء، تعلمتُ أن كل شيء بمشيئة الله، فإن لم يكتب لكم حبيب سكنتم روحه فهو لسبب ما خفي، أو لآذى كاد أن يحلّ بكم، الرضى كان قدري وهو ما جعلني الآن في قمةِ السعادة والحمد لله.

كانت رسالتي إلى السماء، فأتاني الرد مشحوناً بكَ.

العزم على شيء هو أساس القضية، أردتك فألحت على أن أحظى بك ومشيتُ بالطريق الذي يوصلني إليك، لم أرجُك أن تفعل شيئاً من أجلي ولا هربت إليك ولا استمعت للشعوذة والسحرِ ولا فعلت مكيدة كي تأتيني، اختصرتُ كل ذلك بدعائي إلى الله، فتأكدتُ أني سأحظى بكَ، وامتلأت روحي بالرضى والترقب ليوم اللقاء الذي وعدني الله بأن يجمعني به بك.

وحتى في كل مرة أتصارع بها مع الشوق ويكاد يغلبني يرسل لي الله إشارة منك، على أنك على عهدك وكما تركتك قبل بضع أيام وأنك تحبني، وتذكرني، فتهدأ روحي وتستكين لرسالة الله بأن الصبر مفتاح الفرج.

يقول أحمد شوقي (أمير الشعراء):

بينـــي في الحُـــبّ وبينـــك مـــا ... لا يَقْـــــدِرُ واشٍ يُفْسِـــــدُهُ
مـــا بـــالُ العـــاذِلِ يَفـــتحُ لي ... بـــابَ السُّـــلوانِ وَأُوصِـــدُهُ
وَيقـــولُ تَكـــادُ تجـــنُّ بـــهِ ... فَـــأقولُ وَأُوشِـــكُ أعْبُـــدهُ
مـــولايَ وَروحـــي في يـــدهِ ... قَـــدْ ضـــيَّعها سَـــلِمَتْ يـــدهُ

وكأن الشعر خلق لكَ، والكتابة تأبى العزوف عن وصفك، وكل ما في الأمر أن كاتبة قد أحبتكَ، فأنا كأحمد شوقي، كنزار قباني، كمحمود درويش وحتى كالمتنبي وربما أشبه ماري زيادة، أعيش الحب كما يجب أن ينبغي، أسقيه بحروفي وأخلدهُ في كتاب، وألجَأ إليه بعزلةً مع روحي أحملها السلام وأجمل الكلام لحضرة السيد جبران.

وعليك أن تؤمن بأن الروح دائماً على حق وأن ما تقوله هو الصحيح،

يقول جلال الدين الرومي:

فقط حين تفعل ما تمليه عليك روحك

تشعر بهذا النهر العذب يتدفق داخلك

إنها البهجة الخالصة.

فكيف إن كانت روحي هي من تفعل ذلك، فليطمئن قلبك ولتهدأ أشواقك، فقريباً سننال ما نريد، وستتدفق أنهار الحياة بيننا.

والله حينما تلجَأ إلى روحك وتستمع إليها، ستشعر وكأنك في الربيع بين الأنهار تتجول، ترشق الأزهار بالماء وتطعم الطير بعضاً من حبات القمح وتلاعب الهررة، وتحوم حولك الفراشات، وما أشهاه من تخيل من حديث من وصال وكأنه حديث الروح صورة من الجنة فهو مختلف تماماً عن هذا العالم، فكيف إن كنتَ أنتَ روحي.

كنت تلك الحالة التي أزهرت في دفتري وأعطت حبراً لقلمي، كنت هواءً خريفياً في منتصف الصيف، وكنت سيدي حتى الهمتني.

كيف تقول لي فلتسعدي، كيف أسعد بعيداً عنك؟

***

ما أحلاك كيف تستطيع أن تخلق بي إبداعاً لا ينتهي، كيف تزرع الربيع وتشرق شمساً دافئة لطيفة في الصيف، كيف تجعل من كلماتي أوراق شجر تأبى السقوط في فصلِ الخريفِ، وكيف يبدأ الشتاء بغيث لطالما كان منتظر وكيف تصبح حروفك هي حبات المطر.

أخذت موهبتي مني، وأخذت الروح مني، وذهبت بلا وداع، كل ذلك سلبتهُ مني،في مكانك دون أن نلتقي.

وشئت الغروب كشمس تأبى الشروق في يومها التالي، وكأنه يوم شتائي بحت، مع أننا في منتصف الصيف، فألهمتني ورحلت، دون أن تلقي عليّ حتى تحية الوداع، وأتساءل أنا كيف يستطيع شخص واحد فعل كل تلك الأشياء، كيف يستطيع أن يبعثر روحي دون الشعور بالذنب، فيغيب ويجعل القلب يحترق على غيابه.

لكن، أطفالاً ما زلنا في أحلامنا الوردية تلك، حتى خلعت حروفنا قيود الخذلان، فغادرنا الأرض وصعدنا للسماء!!

ثمة عشق بيننا، لكن مستحيل إلى حدّ الآن، إلا أن أرواحنا ستلتقي يوماً ما ربما الآن أو ربما في غير هذا الزمان، فالله وعدني بأن نلتقي ووعد الله حق.

وأظن حبًا على مشارف الحروب والهجرة والضياع، هو أسمى حب قد يحدث بين أي اثنين، صدقني يا جبران، الحرب هي الحب لكن الراء هو ما ينتزع منا كل شيء، قد يتحول الحب لهزيمة في سقف الحرب في هذا الزمان.

لكن لن أهزم ولن أستسلم مهما كان، في الحربِ يغدو حرف الراء مسيطراً على كل شيء، ويمتلئ المكان برائحة البارود، الرصاص، الهجرة، الرحيل، الفراق.. راء في كل مكان، ساهيا عن وجود الياسمين، عن رائحة الريحان، إلا أنك كنتَ ريحانة ترفضُ الموت وتُربت على

كتفها قطرات الندى، كما كل أنواع الزهور، كالريحانِ، ورائحة الريحان لا مثيل له وحتى أفخر أنواع العطور عجزت أن تنافس رائحتها الجميلة، لكن عصف بالريحانةِ الزمان واستبدت الحرب بشجرها، فمالت على شجرةِ

الرمان، علها تتنقض بعضاً من نسائم الريحان، فكيف يكون اللقاء بدون ريحان؟ وكيف تكون أنت بلا عطر، لكن الحرب تسكنُ وطني الآن وتحارب ذلك العطر في كل مكان، وترفضُ وصولك إليه، الحرب مرض خطير يعانيه وطني الآن، ليت ذلك الراء يختفي ويعود لوطني السلام.

إن حباً قد يعيشهُ أي اثنين في زمن الحرب هو داء وليس دواءً، هو أشد وباء قد يغزو جسد محبين، أقوى من مرض السرطان، فكيف لقلبين أن يجتمعا وقد هربا من الحرب وبات كل منهما في بلدٍ ما، لكنهما يخططان للقاء كل يوم، وحتى لو تحت الركام، أو بين شهداء السلام، لقاء يجمع عاشقين فربما قد يعيد الحياة لبلد تلطخ بالدماء، فما أجمل العشق، وما أجمل الحياة بعشقك!

ومن مأساة الحرب يخلق الشعر، من الحرب يموت الإنسان ويحيا الشعر ويحيا بالشعرِ حتى الحب!!

ما زلت أستغرب من أولئك الذين يلعنون الحب وساعته، كيف تلعن مصدر حياتك؟؟،فليبارك لي الرب بك وبوجودك.

سخيفون هم الشعراء قالها أحدهم، لربما هو صادق حينما قال أيضاً إنهم لا يعيشون طويلاً بسبب حزنهم والحياة جميلة والحزن يموت، لربما ذلك الغريب على حق، وأنا بالفعل ساذجة أو حتى بالفعل سخيفة!

لربما لستُ كذلك، فالخطأ ليس بالشعر ولا بالكتابة، الخطأ يبدو ربما في الروح التي تترجم مشاعرها على هيئة قصيدة، كل العشاق شعراء، كل

الأحباب كتّاب، لكن الفرق يكمن في كيفية ترجمة ما بداخلنا، فليس الجميع يمتلك القدرة على ترجمة مشاعره في معلقة أو قصيدة...!

ليس الجميع بقادر على أن يقول أحبك بتناغم، فمثلاً أنا أهواك كما يهوى الطير الحرية، كما تشرق الشمس في الربيع، كحب النحلِ للعسل، أحبك وانتهى الأمر.

في الشعر يختلف كل شيء، حتى الحزن بالشعر جميل..

معظم الشعراء كانوا ضحايا الحب، وأمواتاً في الحياة،

فماذا تفعل مريم بعيد، ماذا تقول للقمر هل خذلها أم مازال يقول عنها أنها خلقت من القمر، هل مازال يذكره، هل يشتاق لها كما تشتاقُ لهُ.. تتساءل مريم؟؟

ومن مريم؟؟ ومن يكون عيد!! لربما هما مثلنا عشاقٌ حائرون..لربما هما شعراء ساذجون!؟

يريد أن يقنعني دائماً أنني قد متُ بداخله، وأن اللقاء مستحيل، وأنهُ قادر على نسياني، لا أعلم ماذا يستفيد من ذلك بالضبط، أحاديث إلكترونية كانت السبب في بؤسنا، أكثر من حجة ما باليدِ حيلة، يخاف أن يعطيني أملاً به، ويخاف أن يفقدني، لم أرَ أو أقابل شخصية متناقضة كجبران، فرغم قسوته الدائمة معي، إلا أنهُ لم يطلب مني الغفران، فقط كنتُ أعود إليه دون أن أدعه يفعل ذلك، ولم أندم يوماً على العودة إليه، ولا على مشاعر أعطيتهُ

إياها دون مقابل، لم أندم على رسائلي الطويلة ولا على قصائدي الساذجة التي كنتُ أكتبه بها، ولن أندم أبداً.

فلم أكفر به حتى أندم على شيء فعلتهُ من أجله، فبه ومنه تعلمت الإيمان.

لكن أتدري ما هو الآثم الذي قد ارتكبته في حق نفسي بهذا الحب، كان ذلك الخيال اللعين، الذي يجلبك لقربي وأنت في مكانٍ بعيد، ذلك الخيال الذي يجعلني أبتسم وأنا أبكي.

هذا هو الذنب الذي اقترفته بحق نفسي فهل برأيك كان ذلك الخيال إثماً عظيماً؟

ففي لحظة لقائنا

غنت فيروز أنا لحبيبي وحبيبي إلي

أرادوا يوماً أن يكذبوها

لكنا التقينا وبات صباحٌ

صباحٌ واحدٌ يجمعنا نحنُ الاثنين..

أحبُ فيروز وأنت أيضاً تُحبها، حتى ولو كنت تربطها كباقي البشر في الصباح فقط، لا أدري لماذا ترتبط فيروز في الصباح، هل يرتبط الطعام بوقت الجوع فقط، وهل لا نشرب الماء إلا إذا أصابنا الظمأ، كلا!! فنحنُ لنا أوقات نأكل لنتلذذ في الحياة وليس فقط لنشبع معدتنا، كذلك هي فيروز، ليس لها وقت محدد ولا ترتبط بشيء.

الحياة مثقلة بالأشياء، الحياة لا تدعنا ننسى أحداً، فكيف إنْ كنت أنت هذا الأحد؟

وحتى القهوة تكمن بك، وقلم الرصاص الذي أرسم به، يختارك أنت لوحة له، و فيروز ايضاً تذكرك في أغانيها، حتى الكتب التي كنتُ أقرأها، كنت دائماً أحد أبطالها، فكيف يتسنى لي أن أنساك!؟

أتهم دائماً بالسذاجة، وبالضعف أمامك، وأنني لا أستطيع المضي في هذه الحياة بدون وجودك، وأعترف بذلك اليوم وغداً وحتى في المستقبل البعيد.

لطالما كنتُ أظن أنني أستحق ما يحصل لي، ربما لأني سيئة ليس بالمعنى الذي ستفكرون به، لكني غير صالحة لشيء، مزاجية، متذمرة، متقلبة، لا يعجبها شيء، متطلبة، وطفلة لا تكبر أبداً، وفاشلة في كل شيء وخاصةً في الحب، فأنا أحبّ بقلبي وحبُّ القلب فاشل، فاشل جداً.

ربما ما يجعلني أحبُو إليك دائماً هو هدوؤك اللادغ الذي أستمدُ منه الصمت، وماذا أستفيدُ من الصمت، يدَعني أكفّ عن ارتكاب الحماقات؟؟ بل يزيد من حماقتي أكثر، أرغبُ في البكاء بدون سبب ولأي سبب، صغيرة ولا أدري كيف أنضج، لا أملكُ قرار حريتي، فلَو كنتُ حرة، ربما لَمَا أحببتك.

عاطفية بقدر كبير وعاطفتي سبب صراعاتي مع نفسي، أكره الظلم وعدم وجود العدل في هذا العالم، بالرغم من أنني على يقين تام أنها مجرد دنيا وأعرف ذلك، لكني كما يقال عني بصلتي محروقة، أريد حلًّا لكل شيء

فوراً، أكرهُ التأجيل..أكرهُ أن أظلم وأرى ظالمي يكافَأ، أشعرُ حينها بقشعريرة تأكل جسدي وتمزقُ روحي وتصبح نفسي ميالة للقتل، لربما لليوم هذا أدركتُ حقاً كيف يستطيع الإنسان قتل نفس بشرية، وتعلمتُ كيف ألمس ظروف الغير قبل أن أشتم وأكره القاتل.

لا أدري أي جروحي عليّ مداواتهُ أولاً، أخاف الفقد وأخافُ الحزن، أعاني الشوق وأشكو الفراق، قل لي كيف أداوي هذه الجروح فحتى اللقاء الذي هو مرهم لتلك الندوب بات وجعاً لي، وأخافُ من هولِ هذه الحياة كلها.

فكيف أخرج منك وأنت تسكن كل زاوية في حياتي!

حتى المطالعة كان لك نصيب منها، أي شيء كنتُ أقرأه كنتُ أراكَ فيه، وكأننا نحنُ أبطال تلك الروايات حدثتك كثيراً عن رواية "قواعد العشق الأربعون"، حدثتك عن شخصية عزيز وكم أحببت هذه الشخصية.

عزيز: قرأت رسائلك الموجهة إلى إيلا في رواية قواعد العشق الأربعون وتمعنتُ بكلماتك وأعجبتني وراقت لي دعوتك لها لكي تعود المودة بينها وبين ابنتها، كما لا أخفي إعجابي بشمس والله كلماته كانت أجمل حتى من خيوط الشمس الذهبية وقواعده الرائعة، زرعت في روحي الطمأنينة وعلمتني أكثر شيء كنت أستصعبهُ في حياتي ألا وهو الصبر، أحببتك كما لو أنك شخصية حقيقية وعزمك على ملاقاة العالِم جلال الدين الرومي، زادني حباً لك وزادني إرادة بأنّ هنالك شيئاً في هذه الحياة لنا ويستحق أن نضحي

لكي نلتقي به، وحتى بابا زمان وثقته بشمس ومحبته لهُ علمني الكثير، أما إيلا ورسائلها لعزيز وبزوغ قصة حب كامنة وراء تلك الرسائل أعطاني أملاً جديداً أن بعد كل ذرة يأس هنالك شجرة أمل في الطريق.

هل راودك الحلم نفسه ثانية؟

كان لتلك الجملة أثر في نفسي، فنحنُ أحلامنا تراودنا كل يوم، لكن أحلامنا أحلام يقظة وحوار ذلك الفلاح مع شمس ذكرني بحال وطني حينما قال لم أفقد أحداً من أحبائي أو أخسر بيتي، لكني فقدتُ شيئاً مهماً، وهو بهجتي، لقد كنت عزيزاً يا جبران.

أما حسن المتسول فرغم فظاعة هذه الشخصية إلا أنهُ أعطاني حكمة ألا وهي (دعوني أعشْ كما خلقني الله وكفاكم يا قوم استهزاء بالآخرين)، أيضاً رأيتك به.

كم هم رائعون، كلنا لنا جانب رائع، كلنا نمتلك مفاتيح الحكمة، أحياناً نقول أشياء عظيمة ولا ندرك قيمتها إلا عند الوقوع بها.

أحببتك أكثر مما ينبغي، كنت تسكن حروف تلك الروايتين وكأن أثير عبد الله النشمي، تعرفني وتعرفك وتعرف ما في داخلنا، كانت تصف آلامي كما هي، وكأنني جمانة، لكن لم تكن عبد العزيز، فأنت لم تكن يوماً كعبد العزيز.

ما قرأت قصة حب إلا ورأيت البطل من كان هو المتيم بمحبوبته، ما بحثت عن شاعر إلا ووجدتُ أقاصيص الهيام قد رست في محبرته، وعذاب

الحب محاكاً بجسده، فما أنا أقّل منهم حتى لا أكون مثلهم، فكيف أقبل بقصة حب سهلة بدون نكهة العذاب أو بدون آلم الغياب..!!

عمّن أحدثك؟ عن ولادة محبوبة ابن زيدون؟ عن قصائدها له وعن نونيته التي كانت أشهر القصائد التي تحكي الفراق:

إنَّ الزمان الـذي مـا زال يُضحكنـا ... أنسًـا بقربكـم قـد عـاد يُبكينـا
غِيظَ العِدى من تساقينا الهوى فدعوا ... بـأن نُغَـصَّ فقـال الدهـر آمينـا
فانحلَّ مـا كـان معقـودًا بأنفسنـا ... وانبتَّ مـا كـان موصـولاً بأيدينـا
لم نعتقـد بعدكـم إلا الوفـاءَ لكـم ... رأيًـا ولـم نتقلـد غيـرَه دينـا
ما حقنا أن تُقـروا عيـنَ ذي حسـد ... بنـا، ولا أن تسـروا كاشحًـا فينـا
كنا نرى اليـأس تُسلينـا عوارضُـه ... وقـد يئسنـا فمـا لليـأس يُغرينـا
بِنتـم وبنـا فمـا ابتلـت جوانحُنـا ... شوقًـا إليكـم ولا جفـت مآقينـا

ليتك هو وليتني كنتُ ولادة، لكن بلقبينا بما نحنُ عليه الآن.

أم عن ريتا محبوبة محمود درويش:

ريتا سَتَرْحَلُ بَعْدَ ساعاتٍ وتَتْرُكُ ظِلَّها
زَنْزَانَةٌ بَيْضاءَ. أين سَنَلْتقي؟
سَألتْ يَدَيْها، فالْتفتّ إلى البَعيد
البَحْرُ خَلْفَ البابِ، والصَّحراءُ خَلْفَ البَحْرِ

قَبِّلْني على شَفَتَيَّ قالتْ

قُلْتُ: يا ريتا أأرْحَلْ من جَديد

ما دامَ لي عِنبٌ وذاكِرَةٌ، وتَتْرُكُني الفُصولُ

بينَ الإشارَة والعِبارَة هاجِساً؟

ماذا تَقولُ؟

لا شَيْءَ يا ريتا، أَقلِّدُ فارِساً في أغنية

عن لَعْنَةِ الحُبِّ المُحاصَرِ بالمَرايا....

فها أنا أعبر حيرة درويش في البقاء أو بالرحيل، أعبرها مثله تماماً في ظروف حبّ مختلفة عنهُ تماماً، فماذا أفعل يا جبران.. أأرحل أم أنتظر الربيع الذي قد طال قدومه..!

عن قيس الذي أتهموه بالجنون لهيامه بليلى!! فكيف لا يكون مجنوناً وقد ذهب بقدميه إلى ورد زوج ليلى وقال له:

بربّك هل ضممت إليك ليلى قبيل الصبح أو قبلت فاها

أم عن بيتين من الشعر قد تركهما عند رفاته:

تَوَسَّدَ أحجارَ المهامِهِ والقفر وماتَ جريح القلبِ مندملَ الصدرِ

فيا ليت هذا الحُبَّ يعشقُ مرةً فيعلمَ ما يلقى المُحِبُّ من الهجرِ

أم عن عنترة وعبلة وجميل بثينة وعن من لم يذق مرارة الحب يا جبران؟؟

لو أنَّ الحبَّ لم يكن عظيماً ولم يكن شيئاً تقدسه الحياة، لمَ ذكر التاريخ أسماء أولئك الأشخاص، لمَ تحولت حياتهم لحكم وأساطير، لمَ آبتْ كلماتهم أن تموت، فها هي الآن تعيش في كل البيوت، في كل القلوب ومنها ما تغنى به أقدر المطربين، وتقول أنت لي (ما باليدِ حيلة).

***

في كل مرة أصبو لمحادثتك، أكون لستُ بخير، أكون متشوقة إليك بطريقة جنونية، طبعاً بعد حفلة بكاء صامتة، بعد صراع مع الذات، وأحدثك.. ولا ألقى رداً!!

وتترك صمتك ينهش جسدي النحيل، أصبحت عروقي ترجف ودقات قلبي تخف، في كل مرة أرسل إليك ألف خطاب ولا يأتيني منكَ أي جواب، يؤسفني حقاً أنك لم ترحم ضعفي، ولم تراعِ قلة حيلتي، يحزنني استهانتك بعودتي إليك وعدم تمسكك بي! تؤسفني حجة ما باليدِ حيلة.

أقفُ أمام المرآة دائماً وأنظر إلى نفسي محدقةً إلى عينَي، كانت حزينتين، بحثتُ عن ابتسامتي، لم أجدها!! حتى ملامح وجهي قد تغيرت وكأنني بدأتُ أكبر، تساءلت بذهول: من سرق مني ابتسامتي.

حينما كان يغيب، كان يأخذ معه كلّ شيء، لا يترك خلفه إلا ثرثرة طويلة مع ذاتي، ووسادة مبلولة، وآلماً لا يشعر به سواي.

وحيرة، أيكذب، أم أنهُ يصدق، أم ماذا؟؟

أخاف مصير أولئك العشاق، أخاف الموت في سبيلك، أخاف الفراق والفقد، أخاف، لكن أتقبل ذلك إن كان قدري.

أخاف أن أكتبك ذكرى وقلمي يرفض مثلَ هذه الترهات فأنا أراك مستقبلاً لا ماضياً، لكن ما دام الخوف موجوداً فيَّ جبران إن أردت حقاً العيش بدوني فخذ قلبي معك، ضعهُ بين أشيائك، لن يزعجك، فهو بقربك يكون هادئاً.

كيف أعطيك الحياة

وتعاقبني بالموت؟؟

كيف أروي ظمأك

وتهدر الماء من حولي

ولا تسقني منها ولو دمعة ماء

كيف أكتبك وأجعلك عنوان كتابي

وكيف تمزق كتبي وتمحي كل أشعاري

كيف يموت العصفور الحزين في قبضةِ يدي.

كيف وكيف وكيف؟؟

في الحياة لا بدّ من رحلة نجتازها جميعنا، رحلة ربما تشقينا حتى نصل وربما فقط قد نشقى دون الوصول لنهايتها، ومنها ربما تكون من سعيدي الحظ وتكون مريحة ونهايتها سعيدة، كلّنا بدون استثناء سنصعد على متن

نفس القطار، قد يكون مكانك مكسواً بالورود وربما لا تجد مقعداً وتجلس في إحدى زواياه أو تظل واقف تنتظر محطتك، في الرحلة ستلتقي في الشتاء وفي الصيف، سيزورك الخريف وربما سيصاحبك الربيع، في رحلتك ستلقى الكثير، وستتعلم الكثير، وهذا القطار هو قدرك ربما تصعد إليه بحب وشغف وربما يكون قدرك مجهولاً، ربما تعيش به وربما تموت تحت عجلاته، هذا القطار هو مسار حياتك، ولك الاختيار، فاختيار الصعود إليه ليس حظّاً، بل انتقاءك أنت، ففي ذلك القطار ستقابل الكثير، ربما عرافة، كتلك التي قابلتها وقالت لي هو لكِ وكتب الله اسمهُ على جبينك في كل الأزمان، في الدنيا وما بعدها وحتى في الجنة ستعيشان بسلام.

وكأن عينيه تناديكِ (سيدتي أخاف النطق فألقى منكِ الخذلان)

وإنّي لأرى الأبيض والأسود عن قريب ولن يكن ذلك في الحسبان، هذا ما رأته لي تلك السيدة في قعر الفنجان.

فهمس في آذني بكلمة تنتهي بحرف الكاف حتى أنسى العالم وأنام، ربما شيخ يهديك إلى الطريق الصحيح ويدلك إلى أقرب طرق اللقاء، بالدعاء، بالصلاة وبالقرآن.

***

في المنتصف أنت

بين اللقاء والرحيل

بين الوجود واللاوجود

بين عينيّ

في منتصف كل الأشياء

أجدك أنت

فليكن بيتنا كما خططتُ له

جدراناً مطلية بالشغف

وأرضية هيام للعشق

وليكن السقف مكسواً بالغرام

فليكن كل شيء كما حلمت، حتى لو كان هذا الحلم بلا استئذان، دعني أحلم يا جبران، دعني أعشْ بأحلامي بسلام.

أظن أن السبب الذي يجعلك تعزي بحبنا، هو صبابتي إليك، وغرامي المكشوف دائماً، أظن أنك تخاف أن تبوح، يعجبك بوحي، وتأبى أن تكون مثلي!

ينتابني في بعض الأحيان شعور التلاشي في مخيلتي، فتغيب أنت، وأظن أن هذا شيء طبيعي بالنسبة لعلاقة كعلاقتنا، كحبّنا، فيخطر في بالي كل شيء، إلا لقاءنا، أراه بعيداً أو غير الذي نتمناه، أراكَ به على الضفةِ الأخرى، غير راغبة بك، شعور سيِّئ جداً، أحاول أن أفعل أي شيء حينذاك، أخاف أن يسيطر عليّ ذلك الشعور.

نعم، فثمة وجود لمثل هذا الشعور وربما قد ينتابك أنت أيضاً، صدقني لا أدري ماذا أريد بالضبط؟ فبوسعي امتلاكك وتنتهي الأحلام بعد ذاك، أتدري لماذا!؟ ربما لأنني اختصرت كلّ أحلامي بك وبالوصول إليك، أستغرب من نفسي كيف كنت وكيف غدوت بعد حبك، أنا التي لم تكن تسعها هذه الدنيا من كثرة حرب أحلامها التي تدور في رأسها كل يوم، كانت حرباً رائعة، لا تشبه حربنا هذه أبداً، أتدري ماذا أيضاً، لم أكن محكومة بأحد، لم أكن محكومة بالأمل، كنتُ أمشي بدون أن أنظر للوراء، أمشي فقط، أريد تحقيق كل ما يخطر في بالي إلى أن أتيت أنت، واختصرت كل شيء، بحلم واحد ألا وهو أنْ أحظى بك.

لكن، لك الحظ الكبير مني، فأنت الآن بطل هذه الرواية ومن يكون بطل كاتبة لا بد لهُ أن يصاب بالغرور، الأبطال الحقيقيون لا يشبهون الرجال العاديين وأنت كنت بطلاً لكن في كتاباتي فقط، بينما أنت رجل عادي كباقي الرجال، فقط قلمي من رآك أو من أرادك وجعلك بطلاً.

جبران، صاحب الظل البعيد، العزيز الغائب، واسمك.. تتعدد الألقاب والبطل واحد، أنت.

ما زلت أنفض ذاكراتي كل يوم وأصنع من غبار الذكريات قرميدة، تخلف قرميدة، أظن أني بذلك أصنع منزلنا، ألا تظن مثلي، أخاف أن ينفخ أحدهم على منزلنا المصنوع من غبار الذكريات ويخفيه من مخيلتي، أخاف وما أشد لعنة الخوف التي ترافقني في بعدك عني، ولكني متأكدة من شيء

واحد على الأقل، هو وجودك الدائم بداخلي، القابع في روحي الذي لو اجتمع العالم أجمع على إزالته، ما أستطاع أحد فعل ذلك.

فلم أفقد يقيني بحبك لي، لذلك لن أعاقبك بالبعد كما تفعل، لن أعاقبك بالهجر كما تجبر على فعل ذلك، فما زلت قابعاً في جسدي، تنام في روحي وتتحرك كطفل في أحشائي، ما زلت أتصورك بقربي، ورأسي على صدرك، أحياناً أسمعك تضحك، وأحياناً أشعر بحرقة قلبك، أشعر بك وبكل ما تشعر به، حتى بلمسة يديك، وبنعاس عينيك، لذلك سأنتظرك إلى أن يشاء الله في لقائنا، في اجتماعنا الدنيوي أو حتى في الحياة الآخرة.

ستسأل ما سرّ هذا الحب.. لربما السر في كيمياء القلوب، في خالقها، السرّ يكمن عند الله.

أيها الغائب الذي قد يحضر على هيئة فنجان قهوة أو ربما قطعة شوكولا كما أحب، أيها الحاضر الذي قد أشعر بحضوره بدفء تشابك يدي ببعضهما وكأن يديك تحتضنهما، تكون حاضراً وأنت غائب.. هذه هي عملية المخيلة التي وهبنا الله بها، لن أبالغ إنْ قلت إنَّها سبب رئيسي لحلمنا على هذه الحياة.

قد تكون كيمياء المخيلة من المزاج ولا شيء يعادل المزاج، قد يكون الحب من أسمى الأشياء التي منحنا إياها الله، لكن ثمة تفاعلات تظهر في الروح، تُلغي أشياء وتبدل أموراً ونصبح نحن بدل من كوننا العنوان، نصبح بين السطور.

يقلقني الحب وماهيته، كيف يدخل أحشاءَنا ويتغلغل في أعماقنا، ويستبدّ بأحلامنا، كيف يغيرنا ويصبح هو قائدنا.

دعني أسرح معك

وألقي عليك قليلاً من الكلمات

أولاً اسمح لي أن أطارد حزنك

وأسرقهُ منك

فأنا يا سيدي أهوى أحزانك

ولا تدع وجهك يرسلُ لي بعض الإشارات

أيا فتاة دعيني والله لن تلاقي معي سوى

المعاناة

لن تلقى مني سوى كلمة:

اصمت

وكأنك رجلٌ أجنبي لا يمتُّ لي بأيّ صلة الآن

يا هذا في أوراق التوت

خطت حروف

لا تموت

وتبقى ملازمة للحياة

والله لو رأيت بغيرك مسلكاً

لكرستُ البحث عنهُ مدى الحياة

لكن كما قيلَ

هنالك مدن تعشق العذاب

وأنا حلبُ

وهل هناك أقسى من ذلك العذاب

قدري أن أكون مدينةً

فقم يا سيدي

قد حان وقتُ الصلاة

فذلك الناسك

قد دق كل الأجراس

وصوت المؤذنِ سيعيد لك الحياة

ستقول ارحلي

وأنا يا وطن

كالمرجان

ملتصقة بالبحرِ

ولستُ على حكمِ قلبي

بسلطان..

أه يا جبران، أتعبني هذا الحب، وأتعبتني نفسي، الجميع يشتكي الوحدة، لكن ما أعمق الوحدة وما أشهاها، صدقاً هي الوجه الآخر لكلمة السلام.

لحسن الحظ أنني فتاة من كوكب الخيال وإلا لتغير كل شيء، لربما حينها كنتُ فتاة مختلفة، وربما رحلت عنك، لكني لستُ من كوكب الأرض، وحتى لو كان لي جذور في الأرض فأظن أنني من زمن السبعينات، هل كان عبد الحليم حافظ من رواد السبعينات؟ لا أدري.. لكن هو الخيال يا جبران، الخيال هو ما يجعلني ملتصقة بك، هو من صيرني مؤمنة بأنك جبران ذاك الشاب الوسيم، عاقد الحاجبين، مع ابتسامة فصل الربيع، صاحب لحية مرتبة منظمة، يرتدي قميصاً أبيض وسروالاً أسود وسترة سوداء أيضاً، مرتب كشاب يهتم بأدق تفاصيل مظهره، ذو الجسد النحيل، وطول يفوق طولي، وصوت بديع، وعينين لا تنفصلان عن السماء بلونهم، حاملاً وردةً حمراء وقطعة شوكولا، أكلتي المفضلة، أتتغزل فتاة بشاب، أليس غريباً أن أتغزل بصفاتك يا جبران، إنهُ الخيال ما يجعلني أراك صبي العشرين ورجل الثلاثين وسند الخمسين، حبذا ذاك الخيال أن يستمر، أخاف أن ينتهي، أخاف أن يفتح أحد عينيَّ فأضيع في سراديب هذه الحياة، في واقع لا أبتغي منهُ شيئاً، أصبو إليك يا جبران رغم قربك في مخيلتي.

أعرف أني أبالغ بعض الشيء في الخيال أو لربما في الحلم، لكن أليس من حقنا أن نحلم، أليس لنا كامل الحرية في الخيال، إذاً أنا لم أبالغ، هذا ما أريده

وهذا ما أراه في كوكبي، في كوكبنا أيها الخياليّون، فلستُ الوحيدة التي تحلم، هنالك خياليّون كُثر، أكثر من الناس الواقعيّين حتى.

طوبى للعذاب

إن كان حبك هو عذابي

وإن كان في العذابِ أمل

أن ألتمس وجودك

الذي لم أدركه بعد

فهنيئاً لي بهذا الشقاء

فها أنا أدرك أنني كلما توغلت بك

ارتطمت بالواقع

وتصارعتُ مع كبريائي

لأصل لمستوى الجنون

فأصمت في زحام الكلام

وأهمس في روحي

يا ليت من يستطيع أن يمحو فراق الأحبابِ

أو يأخذ مني نصفك

الذي ما زال في روحي يرعاني

فإنَّ الحب التام

يتغير من حالٍ إلى حال

أما النصف من حبك

فقد قتل كل الأحوال

وزاد الشوق البعيد

في روحي الضوضاء

ليأتي يوم أتمنى بهِ الراحة

التي سرقوها مني

طيلة تلك الأيامِ

لكن ظني بالله خير

أنْ سوف ألقاك..

وسألقاك، في الحياة أو في الممات أو حتى لو بقيت في الخيال.. قد دعوت الله كثيراً وكيف لا أظن بالله ظناً جميلا.

كم كنا أطفالاً، وكم من نزار ومحمود وجبران ومي وحتى صباح فخري وعبد الحليم وأم كلثوم و.. كثيرون من كانوا شهوداً على هذا الحب المتشبث في الأعماق، مختلفون من كانوا يشعرون بنا وبقصة حب ألفتها وعشتها وأدليت بشهادتي بها بكل ما حملت من صدق ومن مشاعر نقية كالسماء.

وكم كنّا على أعتاب الفراق وكم كانت قصتنا تنوس بين الأرض والسماء، أحياناً تتوارى في سراديب وطني، خوفاً من لقاء بنكهة الجفاء، لأن أحدهم يجري خلف الآخر، والآخر صامت لا يعطي شيئاً ولا حتى هباء، أنت تُشبهُ اللون الأسود في كل الحالات، أنيق وغامض وتوضع كشريط رفيع،على نصيب من كانت صورهم في الجنازات..، وأنا... أنثى ألفت التمرد عليك وأقسمت أن لا يغادركَ طيفُها، ولا حتى صوتي الذي لم تسمعهُ حتى الآن.

ولكن أنا عن تلك الهواجس قد ابتعدت، فالوقتُ بدأ يداهمني، وحائط الذكرياتِ ما يزال يعاتبني، وتاريخي ذلك الحب أوشك على الانتهاء، ربما نهاية سعيدة، فيها حجارة وفيها أخشاب، اجتمعا تحت سقفها الأحباب، وربما شاهدة قبر مرسوم عليها حنظلة، وبعض من تراتيل السلام..، سلام على الحبِّ في هذا الزمان..أو أهلاً بعشاق يؤازروننا، ويكونون مثلنا، ولن يواطئون بأن هنالك نهاية لحب كعشقنا يا جبران!!.

أظنّ بتاريخ كتابتي لهذه الصفحة سيكون قد مضى على حبنا أربع سنين، ربما أقل بشهر أو اثنين، لكن أربع سنين يا جبران كفيلة بأن أحبك وأتأكد من حبك..، هل تظن أن الكتابة وجع، لم تكن وجعاً، كانت أسلوبي في أن أعيش حكايتي كما أريد، كانت وسيلتي في التعبير عن روحي، في أن أدعك تطالعني، فأنا أؤمن أن الكلمات لها قدرة على أن تكشف أشياء لا أحد يستطيع رؤيتها، لا أحد يعرف كيف يكتشفها إلا عن طريق الكلام المضمر في الكتب، الموجود في محبرتنا.

أتعلم ما يؤلمني بكلامك، أنك تحاول جعلي أنساك، وأنت من تحب المتنبي وأمثاله، ألم تقرأ أبياته التي تقول:

يـا مَـن تـوهم أني لسـتُ أذكـرهُ واللهُ يعلـــم أني لســـتُ أنســـاهُ
إن غـابَ عنـي فـالروحُ مَسـكنهُ مَن يسكن الروح كيف القلبُ ينساهُ؟

أين ردّك الذي أتوق إليه من هذه الأبيات، أين أنت يا جبران من هذا الحب، قد ضعتُ لوحدي في سراديب هذه الحياة، أخاف رؤية الشمس فتخذلني الغيوم وتخفيها عني.

أصبحتُ أخاف كلّ شيء، حتى المطر لم يعد يلهمني، بل بات أحد أهم أسباب خوفي من الانجراف خلفك لوحدي، دون أي وسيلة تفعلها أنت لتحافظ عليّ.

أه يا جبران ها أنا لا أرى سوى أشيائنا تنتحب من حولنا، تنادينا فلا نلبي النداء، أو أنت الذي لا تلبي النداء، فتتوعدك أشيائي بالصمود حتى النهاية، وعودي لا تكذب، أو ربما تأبى الكذب، لكن وعودك ماتت بداخلك، لكنها ما زالت جثتها عالقة في قلبي الصغير.

حينما نفصح عن مشاعرنا للطرف الآخر نصبح بلا هوية، نتجرد من كل بيناتنا الشخصية ونصبح ساذجين عن سبق الإصرار المتدفق من أنفسنا، نتغير، نضعف كثيراً، وتتراشق الألوان في لوحتنا، ويضيع جوهر حبنا، بين عبارات غبية جداً، بين أسئلة عليها أن تحذف نهائياً من دستور الحب،

هل يفكر بي؟

أحادثه أنا أم أنتظر أن يحدثني هو؟

هل يقصدني بتلك الأغنية التي أهداني إياها؟

تؤسفني تلك الأسئلة التي تراودني دائماً يا جبران، البعد يفتعل ذلك، أو ربما أنت السبب في ذلك وربما قدرنا هو من يفتعل ذلك، الإفصاح عن المشاعر يجلب الكثير من المتاعب، فنستغل من قبل الطرف الآخر، نستغل بمشيئتنا، كأن نصبو لمحادثة، فلا يحادثونا، كأن نشتاق لملامسة وجوههم، فيكسروا يدنا، وكله باسم الحب، حينما نفصح، لا نكون أغبياء، لكن في زمننا هذا، نكون بريئين من الكبرياء، وهل يستوجب حضور الكبرياء في كلمة الحب؟ فنكافَأ بالجفاء تحت مسمى الحب من قبل الطرف الآخر، يواسيني في هذا الحب، الصدق الذي أستنتجه من حواراتنا السابقة، حتى لو كنتُ غير واثقة بك..

لكنك كنت صادقاً معي.

لا أدري لمَ ما زالت متعلقة بوهمك المتأرجح في سمائي، أخاف أنْ أنتشله وأسجنهُ في قفص فأخسره وأخافُ تركهُ في السماء حرّاً فيضلّ عن الطريق المتجه به إليّ، تكثر الدوامات يا جبران، كأن الحياة تحولت لمحيطات وبحار، ولا جزر نرسو عليها أو تنقذنا من هذه العواصف والأمطار، أرهقني حبّك، أضناني شوقي إليك، حتى أحاديثي بدأت تنفد، وردودك الباردة تطغى على قلبي، وكأن تصرفاتك رسائل واضحة كي أسارع بالانشقاق عنك، لكني

أعترف أني أخاف نسيانك، أخاف أن أغيب عنك أو ربما كما يقول قدرنا "ما باليدِ حيلة"، حتى في نسياني لك لم يكن باليدِ حيلة.

الحيرة يا جبران، تدمر كل شيء بداخلنا، التأرجح ما بين قرارين كلاهما سليم، هذا الشعور يجرد الإنسان من روحه، يتركه على حافة الأشياء، يتغلغل في أعماقه، ويجري كالدم في عروقنا، أتدري يا جبران، حينما نعلق أحلامنا على الإنسان وقدراته، تأتي الحيرة وتسكن في أعماقنا، حينما نقول أن لم يفعل فلان أي شيء من أجلنا فلن نكون سعداء، هذه العبارات هي ما تجلب اليأس والحيرة، لكن السر في حبي لك وفي استمراري بسقايتي لهذا الغرام هو أملي العظيم هو حتماً سيبقى بالله، بالخير الذي سيكتبهُ لي الله، وقطعا ستكون في حياتي، ما دمت أعلق حلمي بك باسم الله، وغير ذلك لكنتُ قد نسيتُ حتى حروف اسمك يا جبران.

الحب يا جبران هو أن نستخدم كلانا ذات الملعقة ونأكل من صحن واحد.

وما الغرضُ من ذلك؟

يزعم المحبون بأن الحب هو تقاسم كل شيء، أو بمعنى آخر هو المشاركة بكل شيء، لكن الحب برأي أنا هو الالتحاق بكلمة الحب أولاً وإدراك معنى أن نأكل من ذات الملعقة، هو تذوق نفس الطعم الذي نشعر بهِ ونتحول من شخصين لثلاثة وأربعة وربما سبعة وثمانية، الحب هو مؤسسة صغيرة نبدأ

ببنائها ونكون بالبدايةِ فردين ونتكاثر لنصبح عائلة أو ربما عشيرة، ربما كل شيء يا جبران، فلا حدود في الحب، لا حدود على الأطلاق.

يقلقني شأنك دائماً، يقلقني هذا الحب، طالَ جفاؤك وربما قد أعتدت على ذلك، لا أخفي اشتياقي لك، لكن ما لم تعد صبابتي كالسابق، أخاف الاعتياد على ذلك مثلك، أخاف أن يأتي يوم وأرفض حضورك، وكم أخاف وأخاف، حتى إنني بتُّ أخاف الخوف بحد ذاته.

لا أدري حقاً ما مكانتي لديك، أتصفح صورك دائماً وأتذكر ذكريات كُثراً، وأتساءل هل بالفعل كنتُ أسكنك حينها، قد كان لكل صورة حكاية، لكل صورة ربما قصيدة وأكثر.

إذاً لماذا أنا أحبك أكثر، مع أنني واثقة أنك أنت من ابتدأت هذا الحب قبلي، لماذا أنا أصبو إليك، وأنت لا تحرك ساكناً.

تظن بأنني قادرة على انتشالك من أعماقي، وأن ألتقي بشخص آخر يستحقني على حدّ تعبيرك، تظن أن باستطاعتي تركك خلفي وأن أمضي لمستقبل خالٍ منك، لكنني ما زالت أدعو الله بأن نلتقي، ما زالت معلقة على حائطك المترهلِ، وأنتظر، أنتظر أي أمل قد يجلبك لي يا جبران، ما زالت ضوضاء الأمل تسيطر على وحدتي بك وتزيد من صبابتي إليك، ما أتعس هذا الحب، الذي لا أعرف الخروج منه ولا الدخول إليه، قتلني لدرجة أنني لم أعدْ أبصر سواك أمامي وكأن ما تبقى من البشر أشباه رجال، كأن الله خلقك أنت وحدك والأرض خالية تماماً حولك، فأنا يا جبران لا أزال طفلة

غبية، تعشق سرابك المنتشر في السماء، لا أزال ساذجة في حبك رغم عنفوانك لهذا الحب المُغَمَّدِ، وكأن حبنا رزية، حتى تواري هذا الحب يا جبران، أتفق معك بالرأي بأن ما باليدِ حيلة في لقائنا، لكن ماذا عن البعد الذي تختاره أنت، ماذا عن الأمل الذي أقوله لك بأن الله جاد علينا بإجابة دعائي، لكن يا جبران بقيت صامتاً رغم ذلك، بقيت صامت ولم تعدْ إلى أحضاني محبرتي، حرمتني من كتاباتك عن قرب، فجعلتني أكتبك بمخيلتي، وكأنك غريب تأبى أي حديث معي.

أعلم أني مصلوبة في قلبك، ولم أتزحزح مقدار شعرة، أعلم أنك تفكر بي دائماً، فمن مثلك يعشق بصدق وهذا ما يعزيني يا جبران في غيابك، هذا ما يجعلني أصبر وأحلم وأتحمل..

أتدري ما هو الخوف الأكبر.. هو أن تموت بداخلي وتقتل شعوري بالحب من آخر.

تؤسفني حقاً نفسي، حينما سمحت لك بأن تتغلغل بأعماقي وتصدر حتى عني القرارات، أي مسمى لهذا الحب غير الحماقة.

أيها العابث في محبرتي.

في الأمس التقينا

لم نلقِ التحية، فربما باتت التحية تسرق منا كلمات كثيرة، فالأفضل أن نقولها بدل أن نسأل عن الحال وما شابه ذلك..

قال لي: تبدين رائعة، أجبته أشكرك وأشكر الله على هذه الصدفة الهائلة، وحالاً سألتهُ هل كنت تستمتع بقراءة رسائلي

صمت، قلتُ له لا داعي للنكران

قال: أستمتع!!!! لقد كنتُ أنتظر بلهفة رسائلكِ رسالة تلو الأخرى لأسرق المزيد من كلماتك وأحفظها في ذاكراتي، كي أتكلم بها أمام الجميع وأجعل من حروفك لغةً لي.

قلتُ لهُ: إذاً أنت قارئ لكتاباتي مستمر

قال: لا أظن

قلت: ويلٌ لك إن كان ظنك كما أظن

فقال: ولما الويلُ؟ قلت: لأن بعض الظن إثم..!!

ماهية الرسائل لا تشبهُ الكلام الذي نجده مكتوباً على حائط أو الحروف المنقوشة على جذع شجرة، قد يمحى من الحائط بسهولة ببعض طلاء، وقد تقطع تلك الشجرة ويتحول الجذع لرماد وينطفئ الكلام الموجود عليها، الرسائل تخلد حتى لو مزقت أو حرقت، تخلد في الروح، كل كلمة تدخل مسام الجلد، تسري مع الدم، تنام تحت الوسادة، وربما في جيب قميص قد يغسل بدون قصد إلا أنها تترك أثراً، وتبقى في الأعماق، تحاكيك كلما اشتقتَ إليّ، كلما تلهفت روحك لملاقاتي، فكيف عن رسائل ستصبح كتاباً في مكتبتك؟؟ وربما لا يفارق منضدتك، تحضنهُ كلما أردت، تقرأهُ كل يوم، يرافقك حيثما ذهبت.

هل يا ترى قد انتهت الرسائل أم يجب أن تنتهي؟ ربما غداً ستفتقدني، وستفتقد صندوق بريدك الفارغ، أخاف أن أفتقدك أنا أو أن أستمر في إرسال الرسائل بدون إجابة..

لقد مرت أيام طويلة على غيابك عني، غياب ليس كاملاً، كنتُ أعرف أخبارك وأتناول أحداثك اليومية من جميع من حولك، دون أن يعلموا أنني أتشرب أخبار روحي منهم.

كيف أصبر على قصورك لا أدري، وكيف لم أتسرع كعادتي للحديث معك، أو ربما أدري فرسائل الله تجعلني أصبر وأصبر أكثر، ربما لم أعدْ بحاجة بأن أقتصك من مخيلتي وأنتهي منك، أو أن تنتهي أنت مني!! فأنا على يقين تام أن موعد اللقاء بات قريباً، قريباً جداً.

قد كنتَ السهل الممتنع، طيباً لدرجة تفوق الحدود، لم تكن عنيداً ولا مكابراً، وتفوق غاندي في إنسانيته، تشبهني بعدة أشياء، وتشبع رغباتي جميعها.

كنت حكاية عشق.. أعطيتني أشياء كثيرة، وأخذت مني أشياء كثيرة، كنت حالة جميلة ومرات سيئة، أو ربما حالة كئيبة لكن لم أقتص منك، ولن أفكرَ في ذلك، ألهمت كاتباً وأغنيت محبرة، وجعلت القلم يبدع، فكيف أثأر منك إن أحزنني شيء منك، لكن أعطيتني مقابل ذلك هذا الكتاب.

أخرجت من خزانتي مسودة الرسائل، وأولاف وقميصي الجينز ووضعتها في حقيبتي ورحتُ أتأمل نفسي، ماذا أريد وإلى أي طريق ستأخذني

هذه الأشياء، ودعائي بأن يجمعني الله بك هل سألقاك أو سيكون خيراً لي أن لا تأتي، وهنا لم أعدْ أدري هل حان موعد اللقاء أو الرحيل.

لن أكون متناقضة في كلامي، لكني على يقين بواقعي الذي يقول أنك لست لي، ومؤمنة بدعائي الذي يقول أنك لي، لا أتأرجح ما بينهما، أحترم إرادة ربي، ونهاية قصتي ستبقى مفتوحة إلى أن يشاء قدري أن يكتب نهاية أو ربما تكون بدايةً لي.

ألا إنك ستدوم حبي السرمدي..

هُنالكَ

قطارات ستسافر من دوننا

وطائرات لن تأخُذُنا أبعد من أنفُسنا..

هنالكَ في أعماقنا ركنٌ لا يتوقف فيه المطر

هنالك مواسم، لا علاقةَ لها بالفصول!

أحلام مستغانمي

الفهرس

- الإهداء..... 7
- رسالة رقم 1..... 23
- رسالة رقم 2..... 25
- رسالة رقم 3..... 27
- رسالة رقم 4..... 29
- رسالة رقم 5..... 31
- رسالة رقم 6..... 33
- رسالة رقم 7..... 35
- رسالة رقم 8..... 37
- رسالة رقم 9..... 39
- رسالة رقم 10..... 41
- رسالة رقم 11..... 43
- رسالة رقم 12..... 45
- رسالة رقم 13..... 47
- رسالة رقم 14..... 49
- رسالة رقم 15..... 51
- رسالة رقم 16..... 53
- رسالة رقم 17..... 55
- رسالة رقم 18..... 57
- رسالة رقم19..... 59

- رسالة رقم 20 61
- رسالة رقم 21 63
- رسالة رقم 22 65
- رسالة رقم 23 69
- رسالة رقم 24 71
- رسالة رقم 25 73
- رسالة رقم 26 75
- رسالة رقم 27 77
- رسالة بدون رقم 79
- رسالة استثنائية.. بدون رقم 81
- رسالة رقم 28 83
- رسالة رقم 29 85
- رسالة رقم 30 87
- رسالة رقم 31 89
- رسالة رقم 32 91
- رسالة رقم 33 93
- رسالة رقم 34 95
- رسالة رقم 35 99

قالت لي:

تكتبين بهِ شعراً وتغزلين من أحاديثهِ رسائل خرافية

يقرأها ويعلم أنهُ هو المقصود ولا يتحرك، فقط يسعد ويتكبر بذلك،

فهل تعتقدين فوق كل ذلك سيبقى؟

رددتُ أنا:

ما الضير في أن أحب بصدق، وألا أعامل بالمثل

أن أهب الطرف الآخر كل ما عندي من مشاعر،

حتى لو ذهب هو،

ما السوء في أن أعيش معه في بيتنا الصغير،

أن أغلق أزرار قميصه وأقبل جبينه كل صباح،

أن أحبهُ أكثر وأن أرقص معهُ ذات مساء.

ما الضير أن عشت كل ذلك في مخيلتي.

فيكون ذنبي أني أحببت وكتبت!؟

فضاءات للنشر والتوزيع

فضاءات للنشر والتوزيع والطباعة

عمان – الأردن – تلفاكس ٤٦٥٠٨٨٥ ٦ ٩٦٢+

Fadaat For Publishing & Distribution

Amman - Jordan • dar_fadaat@yahoo.com